
جنية الحقول

جنية الحقول (قصص قصيرة)

عايدى على جمعة

الطبعة: ٢٠٢٣



العربية للاعلام والفنون والدراسات الانسانية والنشر

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة - مصر

هاتف: ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

http://www.azhabooks.com

E-mail: info@azhabooks.com

بطاقة فهرسة أثناء النشر

جمعة، عايدى على - جنية الحقول (قصص قصيرة)

– الجيزة – أزهى ،٢٠٢٢

١٥٧ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ١ – ٠ – ٨٦٣٢١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع: ٢٠٥٩٠ / ٢٠٢٢

جنية الحقول

قصص قصيرة

عايدى على جمعة

إهداء

إلى قرية الجواشنة، وأهلها المطمئنين

عايدى

العفريت



كان من عادته أن يتجول بين الحقول في ليالي الشتاء، حيث يختلط ضوء النجوم مع عبير الزرع الفائح، ويتهادى مركب القمرين أمواج السحب البيضاء، حاملا أميرة المساء التى تركت ضفائر شعرها، وهى تبحث عن حبيبها المختبئ منها بين طيات السحاب المتراكم، وتأتى أنفاسها بردا وسلاما على وجه أهل الأرض، خصوصا السائرين في الحقول، وتتعانق أشجار الصفصاف على حافة الترعة المنسابة المياه، ويسير الهواء بين نبات البرسيم، فيشعربه وهو يمر على وجهه، وكان خاله الذى هو في مثل سنه رفيقه في الغالب في هذا التجوال.

وقد اختارا لوجهتهما شمال القرية حيث يطلق عليه أهلها "وش البحر".وكان يطيب له أن يحدث رفيقه عن حبه ولواعجه، ونهاية هذا الحب غير السعيدة.

وبينما هما واقفان حيث كان وجهه للفضاء، ووجه رفيقه لبيوت القرية، وأكواخها جحظت عين الفتى بطريقة مخيفةجعلت رفيقه يصاب بالرعب، فقد شاهد فجأة جنديا عملاقا مغطى بالحديد وعليه خوذة كأنه من العصور الوسطى يسير على السكة العالية ذات الحشائش ونبات الحلفا الهائج، وذات الارتفاع من بعيد، والانخفاض من قريب، وقد انحدرهذا الجندى بصورة مخيفة ناحيتهما.

فصرخ الفتى صرخة جرحت سكون القرية الناعس، واستدار مذعورا تاركا شبشبه حيث انطلق في عدو جنوني مصحوب بالصراخ، ورفيقه في أثره، مخترقا شارع القرية الطويل الواسع، في حين كان الفلاحون يغطون في نوم عميق.

وحينما وصل لاهثا إلى البيت وجد جده مغطى بالأغطية الكثيرة حذر البرد، ولكنه كان مستيقظا، فقال لجده: لقد رأيت عفريتا!

فقال له جده: لا عليك نم مطمئنا، وألقى عليه الأغطية الكثيفة.

بعد فترة وجيزة جاء رفيقه، ونادى عليه فخرج، فقال له الرفيق: ماذا أصابك؟

فقال: لقد رأيت عفريتا وقد اتخذ هيئة جندى عملاق من العصور الوسطى، وعليه خوذة!.

فقال له رفيقه: تعال معى.

فذهبا إلى بيت خاله، وفي الطريق شاهد شيخ البلد للقرية المجاورة راكبا حماره القوى، وقد تعمم بشال أبيض وطاقية بيضاء، وهو يسب أهل القرية، لأن هناك من خاف منه، وجعله عفريتا.

الخطوبة



كانت لديه رغبة عارمة في الزواج، لكنه في هذه الفترة لم يكن مستقرا على واحدة بعينها يتخذها زوجة له، وحين رأى ثلاث أخوات يسرن على مصرف القرية، وقد بدا من هندامهن أنهن من البندر سأل عنهن فعرف أنهن بنات لابنة عمة أمه، ومقيمات في المنصورة، وقد جئن لزيارة جدتهن لأمهن.

أبدى لأبيه رغبته في التقدم لإحداهن، وافق أبوه على الفور، واصطحبه معه لزيارة الجدة، ومفاتحتها في الأمر.

ارتدى جلبابه الأبيض، وذهب مع أبيه، وكانت أخته الصغرى ذات الأربعة أعوام معهما.

وحينما دخلوا إلى بيت الجدة استقبلتهما بترحاب كعادتها دائما وكانت معها ابنتها أم العروس ففاتحها أبوه في أمر الخطبة فأبدت ترحابا، ثم دخلت العروس بصينية عليها مشروب، وقد اكتسى وجهها بابتسامة الحياء والخفر!

ثم انتهت المقابلة على أن يجئ الرد بعد ذلك.

وكان عم والدته هو الذى جاء بالرد من عندهم، وكان الرد بعدم الموافقة.

بعدها بأيام قليلة عادت الفتيات إلى المنصورة.

عنّ للفتى أن يذهب لزيارة أحد أصدقائه في منية النصر، وفي طريق العودة حين كان سائرا في أحد شوارع المنصورة كي يستقل الحافلة إلى مركز السنبلاوين، ومنه إلى ديرب نجم، ثم إلى قريته رأى فتاته في صحبة رفيقة لها، فعرفها، ولم تعرفه، فاقترب من الفتاتين، دون أن يلفت نظرهما، حتى إذا كان على بعد أمتار قليلة منهما سمعها تقول لصاحبتها: لقد تقدم لى معيد في الجامعة، ولديه فدان أرض اشتراها من جدى، لكننى رفضت.

فابتعد عنهما، ولم يرها منذ ذلك اليوم.

البنطلون



حين جاءت خالتي من مدينة الإسكندرية إلى قريتنا جلبت لي معها بنطلونا متينا جدا، وكنت دائما أرتدى هذا البنطلون المتين وأتبع أبى إلى حقلنا القريب من القرية، فجأة أقفز على الطريق، ومرة أسير ببطء، وفي مرة أخرى أطارد فراشة، وهكذا.

كنت أسير خلف أبي على حافة المصرف المليء بأشجار اللبلاب، مستمتعا بجو الصباح الساحر بين الحقول، والنبات الأخضر الذى يمتد لمسافات بعيدة، وقد انتشرت على الطرقات بين الحقول الماشية ذات الصوت المبهج.

وفي إحدى المرات كانت جاموستنا تدور في الطمبوشة لكى تخرج الماء من الترعة، فيسير في قناة صغيرة مارا بثلاثة حقول لعم أبي وابن عمه وأحد الجيران حتى يصل إلى أرضنا.

تركني أبي ألعب حول الطمبوشة، وذهب ليروى أرضنا. أعجبنى جدا منظر الماء وصوته وهو خارج من الطمبوشة مباشرة، فجلست على الحوض الأسمنتى، وأرسلت قدميّ الصغيرتين في الماء، وأنا أهزهما، فيتصاعد الماء من ضربات قدميّ يمينا ويسارا، ثم أنظر إلى الفضاء فأجد قطع السحاب البيضاء، وهى تأخذ أشكالا متنوعة في عليائها، كانت الجميزة العجوز على حافة الترعة تستقبل أشعة الشمس الهامسة، وتهمس بالحب

الناعم لقطرات الندى التى كللتها، وتلقى على جسدى الصغير ظلالها وهمساتها، وتفرج لى عن بعض حزم ضوء الشمس المتفائلة بهذا الصباح.

وفجأة أمسك رأس مسمار متين من مسامير حلة الطمبوشة في بنطلونى الشديد المتانة، ودار صراع رهيب بينى وبين دورة حلة الطمبوشة، وأنا أصرخ بصوتى الطفولى ولا يسمعنى أحد، حتى تمزق البنطلون تماما، وأصيبت ساقى بجراحات بالغة، وجعلت الدماء تتساقط منى وتمضى مع الماء الذى يروى حقلنا.

ذهبت إلى أبى في الحقل بغير البنطلون المتين، وآثار الدماء على ساقى.

مر الموقف، لكن مازالت آثار تلك الحادثة بارزة في ساقى حتى الآن.

الملعقة



كنت كثير الحركة والتنطيط في البيت، وكان أهلي يعاملونني برفق، ويبالغون في حبى وتدليلى. فأبى كان الولد الوحيد لجدى، وحينما تزوج أنجب ثلاث بنات تباعا، ماتت الأولى، وبقيت اثنتان، وكان جدى والأسرة تتمنى أن ينجب والدى ولدا، فجئت أنا، وجاء بعد عام ونصف أخ لى، ثم جاء بقية الإخوة والأخوات.

وفي مرة من المرات حلبت أمى الجاموسة، ووضعت اللبن أمامى، وفيه بعض الخبز الملدّن، كان ذلك صباحا في صالة بيتنا الريفي الواسع، وأعطتنى ملعقة، جاءت جدتى كى تشاركنى في طعامى هذا، رفضت أن تأكل جدتى معى، لكنها أخذت ملعقة ووضعتها في الطبق، فغضبت غضبا شديدا، ثم رجعت إلى الوراء مسافة مناسبة، وبكل عزيمتى الطفولية صوبت الملعقة إلى وجهها، وضربتها ضربة شديدة، وقعت أسفل عينها، وكانت هناك كتلة ناتئة أسفل عينها تركها الطبيب دون استئصال حينما ذهبت للكشف عليها، إذ ربما ـ من وجهة نظره ـ يكون في استئصالها بعض المشاكل الطبية غير المرغوب فيها.

وحينما وقعت الملعقة في هذه الكتلة انفجر الدم منها مصحوبا بصرخة ألم حادة من جدتى، جعلت قلبى يترجرج من هول ما فعلت.

الموقف مر بسلام، ولم يعاقبنى أحد من أسرتى، لكنى تعرضت لعقاب

قاس من ضميرى الذى ظل يؤلمنى بشدة، وكان ذلك بداية خضوع تام لجدتى، وتلبية كل ما تطلبه منى، فكانت تحبنى أكثر من الجميع.

أخبرنى جدى بعد ذلك أن ضربة الملعقة كانت في مصلحة جدتى لأنها أزالت الكتلة التى كانت أسفل عينيها.

الشيخ صالح



كان الشيخ صالح الأخ الأكبر لجدى دائما يأتى هو وأخوه وأخته إلى بيتنا صباحا.

كان منظرهم قادمين في الشارع ثم في الحارة الضيقة يسعدنى حقا، فقد كان الشيخ صالح أقرب إلى القصر، ممتد الجبهة، حسن القسمات والملامح، يلبس جلبابا أبيض، وطاقية بيضاء، وعليه حرام له ألوان جميلة متناسقة وهادئة، كان هذا الحرام يميزه عن أهل القرية جميعا. وقد أعطاه حفظه المتقن للقرآن الكريم وجاهة خاصة بين أهل القرية.

في أيام الشتاء كانت أمى تعد "المنقد" وتضعه في وسط الحجرة، ويضعون عليه القوالح، ويشعلون فيها النار، وكثيرا ما يضعون عليه كتلا من الخشب، فيملأ الدخان جو الحجرة الواسعة، وربما خرج إلى صالة البيت الشديدة الاتساع، وحينما يظهر لهيب النار في " المنقد " يمد كل واحد يديه مقتربا منها، فيشعر بالدفء، وكثيرا ما يضعها على وجهه، وقدميه. ويضعون علي " المنقد" براد الشاى، وكانت الأكلة المفضلة هى "العيش الغلّة" الخارج الآن من الفرن مع الملح أبو كمون، وكثيرا ما يكون السريس المجلوب من حقل البرسيم صباحا مع هذا الطعام.

كان بعض أهل القرية يأتى للمشاركة في الحديث والطعام وشرب الشاى، كانت ملامحهم وأنفاسهم تحمل عبير القرون التى مرت على هذا الوطن.

كانوا يجلسون في حجرة واسعة مفروشة بشريطين مصنوعين من السمار، وقد وضعت المساند بجانب الجدران.

مازلت أذكر كفي الشيخ صالح، وأصابعه الملتوية، وهو يضع الخبز في الملح.

مات الشيخ صالح، حزنت عليه كثيرا، وكانت هذه أول مرة أرى الموت يأخذ أحدا ممن تعودت على رؤيته.

وصلت إلى سمعى إشاعة . لا أدرى كيف . أن الموتى سيبعثون يوم الخميس القادم.

ظللت أنتظر يوم الخميس، وأطيل النظر إلى مقابر القرية التى سيخرج منها الموتى يوم الخميس، ومنهم الشيخ صالح، وجعلت أمنّى نفسى بعودته مرة أخرى، ومجيئه إلى بيتنا صباحا.

كان الجو شديد الحرارة يوم الخميس، واليوم كان طويلا من أيام الصيف.

حينما انتهى أهل القرية من صلاة العصر، كنت أسير في شارع القرية الواسع الذى يؤدى إلى المقابر في انتظار عودة الشيخ صالح، لكنى وجدت نسوة متشحات بالسواد يحملن الرحمة للموتى، ويذهبن إلى المقابر، ولم يبعث الموتى، ولم يرجع لنا الشيخ صالح.

القطار



كان القطار القادم من بورسعيد متوقفا في محطة الزقازيق، بعده يواصل السير حتى يصل إلى مدينة القاهرة.

أبصرت القطار يتحرك بطيئا، بعد صوته المدوى، وقفزت من الرصيف المواجه له كى ألحقه، وكانت أبواب القطار من هذه الجهة مقفلة، وأنا أريد أن أستقله، إذ إن مضيه معناه انتظار حوالى ساعة أخرى أو أكثر حتى يجئ القطار التالى، وأنا أريد أن أذهب إلى القاهرة.

أمسكت بحديدة متينة من حديد إحدى نوافذ القطار، ثم تعلقت بها محاولا الدخول من النافذة.

وكان في النافذة حديدتان متوازيتان، فوجئت بأن القطار يسرع السير بطريقة مخيفة جدا، صرخت كى ينقذني بعض ركاب العربة، ولكن دون جدوى.

أحسست بالهواء يرتطم بجسدى المتعلق من الخارج بالنافذة، والقطار يغذ السير، وقد بدت القضبان الحديدية المتوازية أمامى وهى تسرع بشدة مخيفة عكس ما نمضى. توقعت أن أسقط ويرتطم جسدى بقضبان السكة الحديدية قريبا، أو أن يجئ القطار القادم من الاتجاه المعاكس بسرعة جنونية فيلمسنى فأتحول إلى أشلاء، وجعلت أنتظر هذه اللحظة القريبة، لكن القطار توقف فجأة على غير توقع، فنزلت بهدوء وركبت في العربة مطمئنا.

السيارة



كثيرا ما كنت أذهب إلى السفارة الليبية لمقابلة الشاعر الكبير محمد الفيتورى، وكان دائما يصر على توصيلى بسيارته الفارهة، مكتوب عليها هيئة سياسية، كان ينطلق بى من مقر السفارة في الزمالك إلى ميدان التحرير، أقرب مكان يمكن أن أستقل منه سيارة أخرى إلى مكان سكنى في فيصل.

كانت السيارة حينما تسير في شوارع القاهرة تلفت الأنظار إليها بشدة، وحينما نصل إلى المكان الذى سأنزل فيه كنت أجد أناسا كثيرين واقفين في حرارة الشمس اللافحة، وقد تحدرت على وجوههم حبات العرق، وبدا عليهم الإرهاق الشديد والمعاناة التى تجعلهم شبه منفصلين عن هذا العالم، عيونهم نصف مفتوحة في انتظار الأتوبيس الذى كثيرا ما يتأخر، وإذا أتى الأتوبيس تكون الفرحة بالغة بمجيئه، وحينما تأتى السيارة الفارهة ينتبهون بشدة مدهوشين من منظرها، غابطين مستقليها.

حين تتوقف السيارة، وأنزل منها ينظرون إلىّ بإكبار شديد باعتبارى من طبقة أخرى تستقل هذه السيارة.

لكنهم يفاجأون بانطلاق السيارة ووقوفي في صفوفهم في انتظار الأتوبيس مثلهم، ثم تعود لهم حالتهم الأولى من السرحان والإرهاق الشديد والمعاناة في انتظار الأتوبيس، ثم لا ألبث أن أنخرط معهم فيما هم فيه.

السعيد

كنا في ذلك الوقت سبعة إخوة، أربعة أولاد وثلاث بنات، وكان نجمى يلفت بريقه أنظار أهل القرية فقد أعلن عمدة القرية بصوته الجهورى في المدرسة الابتدائية بأننى الأول في الصف السادس الابتدائى، وكنت حديث القرية التى كان أهلها يقدرون المتفوقين.

ولم يسبق لأحد من بيتى أن أكمل تعليمه الابتدائى، ولذا نشأت ولم أجد في بيتنا الريفي الواسع كتابا واحدا أقرأه، وكذلك أهل الحارة التى نعيش فيها لا يوجد في بيت واحد أى كتاب على الإطلاق.

وحينما وزّع مدرس المكتبة المدرسية على كل طالب منا كتابا، التهمت كتابى، ثم استعرت من كل طالب كتابه، وقرأت الكتب جميعا، في حين لم يقرأ أى طالب من طلاب الفصل كتابه إلا النذر اليسير.

وفي يوم من أيام الصيف القائظ ارتفعت درجة حرارتى بشدة فسارع أهلى بالكشف علىّ ووصف لى الطبيب أدوية مختلفة، وكان منها الحقن.

حاء حلاق القرية ليعطينى الحقنة، وكان ذلك كل يوم عصرا، بدا التحسن علىّ بعد هذه الحقن، وبدأت أسترد عافيتى لكن أخوىّ الصغيرين ارتفعت درجة حرارتهما، فأفتى الحلاق بأن يجب ان يأخذا حقنا لكى تخفف درجة حرارتهما، وكان أخى السعيد أكبر قليلا من أخى الآخر، ذهب الحلاق إلى بيته وأحضر حقنتين، واحدة غلافها باهت، يشير إلى انتهاء

صلاحيتها، وأخرى سليمة.

كانت الحقنة المنتهية الصلاحية من بقايا الحقن التى كانت تأخذها زوجته التى توفاها الله منذ فترة.

هداه تفكيره إلى أن يعطى الحقنة السليمة للأصغر، ويعطى الحقنة الفاسدة للأكبرلأنه يستطيع أن يتحملها، وكانت الأسرة جميعا متعلقة تعلقا كبيرا بالسعيد لشدة وجاهته، ونبل يبدو على محياه.

حينما علم السعيد الذى لم يكمل عامه السادس بعد بأنه سيأخذ الحقنة هرب خلف زكيبة الغلّة، وأمى تبحث عنه في بيتنا الريفي الواسع من حجرة إلى حجرة، وفي الأزقة المحيطة بالبيت، وفوق السطح، حتى وجدته أخيرا متكورا في رعب خلف زكيبة الغلّة، فأحضرته بيديها إلى الحلاق، ولم تلتفت إلى توسله الشديد لها، فأعطاه الحقنة.

كان ذلك عصرا.

في المساء كنت أسير في شارع القرية الواسع راجعا إلى البيت، وقد عاد معظم الفلاحين إلى بيوتهم، وبدأت تظهر رائحة الطعام الطازج في كل بيت. وواحدة من نساء القرية تلبس جلبابها الواسع، وقد تأخر بطها في المصرف، عن باقى بط أهل القرية، وفي يدها عصا من الهندى الذى هو في الأصل أعواد شجرة القطن، تهش بها على سرب البط العائد من مصرف القرية، وهى تحاول إدخاله إلى غرفة البط في بيتها، قائلة له: بيتك ـ بيتك ـ بيتك.

لمحت في الشارع سيارة بيجو، وبداخلها أمى، وهى تحمل أخى

السعيد في حضنها، وبجانبها أبي.

كان أخي السعيد فاقدا حيويته تماما في حضن أمي، وأمي تضمه بحنان بالغ، في حين بدا الصمت والذهول على وجه أبي الذى كان متعلقا بأخي السعيد بشدة غير عادية.

كادت السيارة البيضاء أن تدهس قطة سوداء مرت أمامها فجأة.

حين وصلت إلى البيت أخبرني جدى بأن أخي السعيد مريض جدا، وقد ذهب والدىّ به إلى الزقازيق للكشف عليه، ثم انخرط في دعاء متصل، ومناجاة حارة لربه الذى يرى كل شئ، وهو اللطيف الخبير.

انتظرنا حتى آخر الليل، ولم يأت السعيد.

حينما أخذني النوم استيقظت في الصبح على صرخة واحدة حرّى تشق سماء شارعنا، عرفت فيها صوت أمي، ثم لم تلبث الصرخات أن تجاوبت في سماء القرية الصغيرة كلها.

فقد عاد السعيد، ولكنه كان قد فارق الحياة.

مازلت أذكر أمي، وهى جالسة بين نساء القرية المتشحات بالسواد يعزينها في مصابها الفادح، وقد انحدرت الدموع على وجهها، وهى تقول: أنا التى أتيت به من خلف زكيبة الغلة بيدىّ هاتين، ليت يدى قُطعت قبل أن أجئ به من خلف زكيبة الغلة، ثم تسترسل في بكاء متصل، يجعل نساء القرية جميعا يسترسلن في مثل هذا البكاء.

السعيد ظمآن



قبل صلاة الجمعة رأتنى أمى متوجها ناحية الزيرالمملوء بالماء، كى أشرب من مائه الصافي، وحينما أمسكت بكوب الماء، ورفعته لأشرب قالت لا تشرب ماء أبدا في صباح يوم الجمعة، حتى تنتهى الصلاة، لأنك لو شربت فإن أخاك السعيد في العالم الآخر سيظل ظمآنا، ولن يجد شربة ماء، دع شربة الماء لأخيك.

كانت هذه تعليمات أمى لنا جميعا في بيتنا الريفي الواسع، وكنا ننفذ هذه التعليمات جميعا، ولم أشاهذ أحدا من أفراد أسرتى كلها كبيرا أو صغيرا يشرب شربة ماء واحدة قبل صلاة الجمعة، حتى لا يظل السعيد في عالمه الآخر ظمآنا.

حمادة



رزق أخى الذى يصغرنى بعامين في السابعة عشرمن عمره بمولود، فرحت الأسرة به جميعا، أسماه والده حمادة، كان حمادة حديث الحارة والأقارب والمعارف، وحينما وصل إلى عامه الخامس أصيب بمرض خطير، ولكن الله قيّض له الشفاء منه، حينما وصل إلى سن الشباب خطب إحدى فتيات القرية، وكان يعيش في سعادة غامرة، وقد فرحت أسرته كثيرا لفرحه.

كان حمادة مثل أكثر شباب القرية لا يجد وظيفة، فكان يخرج كل يوم فجرا مع رصفائه إلى مدينة العاشر من رمضان التى تبعد حوالى خمسين كيلو مترا عن القرية للعمل، يخرج في أيام الشتاء والصيف على السواء، مرتديا ملابسه المملوءة بالرمل من آثار العمل، حيث تقلهم سيارة لأحد أهل قريته، والذى يملك خلاطا يقوم بصب الأبنية في هذه المدينة الصناعية، كان العمل شاقا حقا، ولكنه لا يجد غيره.

كان حمادة شديد العطف على أسرته، والحب لها، ويساعد أباه كثيرا في المصاريف الكثيرة التى تحتاجها أسرته، وكانت هناك صداقة عميقة حقا مع أمه، وجده، وعمه الأكبر، كما أنه كان كريما مع خطيبته التى تحبه ويحبها.

وحينما لا يكون هناك عمل في الخلاط كان يذهب مبكرا إلى الحقل مع أبيه، ساحبا الجاموسة، سائرا على قدميه في هدوء واطمئنان ورثه من آلاف السنين عن أجداده المصريين، في حين كان أبوه يركب حمارته الهادئة، ويتنفس الجميع جو القرية النابض بعبق الأرض وزرعها ومائها وطينها وأصوات حيواناتها، وتهادى مواكب سحبها.

كان حمادة يقوم بمهام العمل على أكمل وجه. وحينما يأتى المساء كان حمادة يشترى دائما المشبكة والهريسة وصندوق الدخان من إحدى دكاكين القرية، ويعطى جده الذى يشعر بفراق حاد بعد وفاة الجدة الطيبة، وبعد ذلك يعطى أمه الصديقة من المال والطعام.

وفي يوم ذهب حمادة إلى العمل الشاق الذى لا يجد غيره، وصعد إلى سقف البناية في الدور الخامس فسقط به السقف من شاهق، وفارق الحياة.

مازال أبوه كلما ذهب إلى الحقل جلس في الأماكن التى كان يجلس فيها حمادة معه،

وتسقط منه دمعتان يمسحهما بطرف جلبابه، ثم ينظر في أفق الحقول الواسع.

أما الأم فقد عرفت حقا الأحزان وصادقتها، والجد كلما سمع خطوات منفردة في آخر المساء في الحارة هتف قلبه: حمادة.

الزوجة



كان دخله كبيرا جدا، يصل إلى عشرين ألف جنيه في الشهر، وكان للزوجة مصروفها الخاص من هذا الدخل، وكان هذا المصروف لا تنفق منه شيئا، وربما قطعت من مصروف البيت وأضافته إلى مصروفها.

حين وصل إلى الخمسين كثرت بينهما الخلافات، طلبت الطلاق، وحينما طلقها فوجئ بأنها أصبحت مليونيرة من أمواله، أما هو فيعيش عيشة المستورين.

المكتبة



كانت مع زوجها الشاعر في الجزائر. كان هذا الشاعر حديث الأوساط الأدبية، يقدره الجميع، ويعرفون إبداعه.

وكانت قصة العهد. على الإخلاص والوفاء حتى آخر العمرمهما كان الذى قاله لحبيبته وقالته له قبل الزواج يعرفها المقربون.

عنّ له أن يصطحب زوجه إلى الجزائر للعمل هناك من أجل تحسين الوضع المادى.

في مرة من المرات كان الزوج الشاعر يقود سيارته بمفرده.

كان يسير في طريق به كثير من المرتفعات والمنحنيات، كانت تخايله قصيدة متأبية عليه، وهو يغذ السير من أجل الإمساك بإيقاعها الذى يملأ نفسه.

لاحت حمامة بيضاء فجأة، وهى تحلق بمفردها في الفضاء العريض، كانت هذه الحمامة البيضاء تجهد كى تلحق بسرب من الحمام سبقها في الفضاء، وقد بدا أمامها الفضاء لا نهائيا.

حين انضمت الحمامة البيضاء إلى ذلك السرب الذى سبقها، وغاب الحمام في محيط اللانهاية انقلبت السيارة بهذا الشاعر المعروف، وقبل أن يفارق الحياة سمعه من رآه وهو يتمتم باسم زوجته.

رجعت الزوجة من الجزائر بمفردها. لكم كان طريق العودة حزينا يائسا بعد فراق لزوجها الشاعر، فقد كان الفستان الأسود والإيشارب الأسود وحقيبة اليد السوداء والحذاء الأسود والنظارة السوداء وما يلوح من تحت الإيشارب من شعرها الأسود كل ذلك يخبر من يراها لأول وهلة بحزنها على عزيز مفارق.

لم تطق الزوجة حياة الوحدة، فتزوجت، وفوجئ المهتمون بالأدب بكتبه ومخطوطاته على الأرصفة.

اللقاء



بعد خمسة عشر عاما من الفراق قابلها مصادفة في الطريق العام. وقفت أمام السوبر ماركت هى وابنتها، سلم عليها وسلمت عليه.

وجعل يحدثها عن نفسه، وعن أحواله، وما وصل إليه، وجعلت تحدثه عن نفسها. بدا طائر الحب القديم في الأفق. قال لها كنت أكبر حب في حياتى، ومازلت، ولكنى لم أكن أمتلك الشجاعة كى أفاتحك في هذا.

قالت: ليتك فعلت.

الأرنب



وحيدا في حقله في فترة القيلولة، يحش البرسيم لماشيته، وجاموسته تنظر إليه بعينيها الواسعتين، وتطلق صوتها الذى يملأ الحقول الواسعة بموسيقى الحياة. لاح له أرنب مكتنز الجسم يقفز قريبا منه، ترك ما في يده وجعل يطارد الأرنب عازما على أن يصطاده، فيكون طعامه وطعام أسرته في العشاء، وكلما أوشك على الإمساك به انفلت الأرنب منه مبتعدا، فتستمر المطاردة، حتى إذا اقتربت اللحظة الفارقة، أفلت الأرنب، وهكذا.

استمرت المطاردة عبر الحقول الواسعة، وقنواتها الممتلئة بالمياه، وأريجها الأخّاذ إلى شاطئ الترعة الواسعة الممتلئة بالمياه، قفز الأرنب إلى الماء، فانتبه الرجل إلى حقيقته، حيث اعتقد الرجل اعتقادا جازما في هذه اللحظة أن الأرنب هو الصياد الذى يخطط بإحكام لاصطياد فريسته، وليس هو، وأن الغرق مصيره الحتمى إذا نزل الترعة.

عاد مسرعا إلى البيت عبر الحقول البعيدة عن القرية مرتعشا مستعيذا بالله من الشيطان وقبيله، لكنه لم يلبث قليلا حتى مات متأثرا بالخضة.

التعليم



في الصف الخامس الابتدائى، في مدرسة القرية الوحيدة، ذات الجدران المطلية باللون الأصفر الباهت، والفصول المتراصة بجانب بعضها والحوش الواسع ودورات المياه المتهالكة، حيث كان المدرسون يتفننون في تعذيب أطفال المدرسة، ويكتسب المدرس شهرته الواسعة كلما أمعن في تعذيب هؤلاء الصغارالذين لا يجدون من يدافع عنهم سواء من الأهل أو من الحكومة، فكان الطفل يتلقى مصيره مقموعا صابرا، لأنه هو المتهم الوحيد إذا تلقى ذلك التعذيب الذى لا يكاد يفارقه، فالمدرس يعلمه، وهو لا يركّز، ومن ثم وجب عليه العقاب الذى سيكون حتما في مصلحته.

كان ذلك في المدرسة، أما بعد انتهاء اليوم الدراسى فإن بعض المدرسين العدوانيين جدا يتعمدون المرور على أجران القرية الواسعة بعد العصر، حيث يفرالتلاميذ الذين يلعبون فرارا مذعورا إذا شاهدوا واحدا منهم.

وكان هناك أحدهم يحمل نبوته الذى يشبه نبوت عاشور الناجى في ملحمة الجرافيش، ويمر على طلاب فصله في المساء، بعد صلاة العشاء بفترة كبيرة، ويطرق أبواب البيوت بيتا بيتا سائلا عن الطفل المسكين، وإذا وجده نائما كانت ضربة النبوت تأتيه على جسده الغض وهو تحت اللحاف، فيقوم مذعورا صارخا وربما بال على نفسه، في حين كان أهله من

الفلاحين البسطاء سعداء بهذا المدرس الذى يتقن عمله أيما إتقان.

كانت هذه هى رؤية الأهل من الفلاحين البسطاء الذين لا يعرف معظمهم الصف الدراسى الذى فيه ولدهم، وكل ما يحلمون به أن يكون ابنهم متعلما، حتى يحصل على وظيفة في الجمعية الزراعية بالقرية أو غيرها.

ألقى المدرس سؤالا على أحد التلاميذ، لكنه لم يعرف الإجابة، أحد زملائه أجاب على السؤال، عاقبه المدرس عقابا جديدا، لم يحدث من قبل ذلك بأن جعل زميله يمتطيه كالحمار، ويمر به من فصل لفصل، وطلاب المدرسة يضحكون، والمدرسون ينظرون نظرة النمور إلى هذه الفريسة التى عجزت عن إجابة سؤال، كانت بعض نساء القرية ينظرن من نوافذ الفصول، ويشاهدن هذا المنظر الغريب الذى تفتق عنه ذهن المدرس، ربما تقطع قلب إحداهن شفقة على هذا التلميذ المسكين، في حين كان طائر أبو قردان يهبط من الأفق إلى الحقول المجاورة للقرية.

جاء أبوه صائحا: لماذا تفعل بابنى هكذا؟

وكانت الإجابة: من أجل إذكاء روح المنافسة حتى يتعلم.

لكنه كره المدرسة، ومن فيها، ولم يرجع إليها يوما واحدا، وعمل مع أبيه في الحقل، وأصبح صديقا لطائر أبو قردان الأبيض..

الرى

الفلاحون يبيتون في حقولهم في انتظار المياه التى في الغالب تأتى في آخر الليل.

حيث تبدو قطيفة النجوم ناصعة البياض في السماء الممتدة، ويتهادى الهواء النقى مسرعا تارة ومبطئا تارة أخرى، وعبق الأرض بطينها ونباتها ينعش أرواحهم، وقد أخذ كل واحد لحافا قديما معه، ليتغطى به وقت السحر عند اشتداد البرد، وسقوط الضباب والندى.

وكان الشيخ جمعة الحافظ للقرآن الكريم له قطعة أرض أخذها من الإصلاح الزراعى. كان معروفا لدى أهل القرية جميعا بجبنه الذى لا شبيه له.

ذهب الشيخ جمعة مساء ليروى حقله مثل بقية الفلاحين، وكان كثيرا ما يدور صراع حول فتحة المياه. الكل يريد ان يروى أرضه قبل الآخر، ليعود إلى زوجته المشتاقة له دائما.

سار الشيخ جمعة على السكة الممتدة بين الحقول، وهو يقرأ آية الكرسى التى تصرف الجن والعفاريت، وإذا سمع صوتا خافتا بين الحقول ارتعدت فرائصه، وقرأ القرآن بصوت مرتفع. وكان جار للشيخ جمعة في الحقل يعرف عنه الجبن الشديد، والخوف من العفاريت.

خلع الجار ملابسه تماما، ووضع على رأسه وجسده كثيرا من طين الأرض، وأخذ بعض الأغصان الصغيرة من الشجر ووضعها على رأسه وعنقه.

وحينما ذهب الشيخ جمعة ليفتح ممرا للمياه في أرضه فوجئ بهذا الجنى يخرج فجأة من الترعة، وهو يتراقص عاريا.

أطلق الشيخ جمعة ساقيه للريح، وقد علا نقيق الضفادع، وهو يردد آية الكرسى بصوت مرتفع جدا على السكة الممتدة بين الحقول الواسعة.

الخليج

ترك زوجته وأطفاله، وذهب إلى إحدى دول الخليج من أجل تحسين وضع أسرته الاقتصادى.

كانت الزوجة الشابة تودعه، وهى تعده بالمحافظة التامة على عرضه وماله وولده.

فذهب من أجلها وأجل الأولاد.فالعقد في هذه الدولة الخليجية رائع حقا، وسيتمكن في شهور معدودة من هدم بيته من الطوب اللبن، ويقيم بدلا منه بيتا عصريا على أحدث طراز، ويبنيه أدوارا عالية تكفيه، وتكفي أولاده، كما خطط أيضا لشراء قطعة أرض تدر دخلا ثابتا لهذه الأسرة التى لم تكد ترث شيئا.

كان يرسل لزوجته الشابة المال مع الكثير من الأشواق. لكن الزوجة الشابة لم تتحمل الحرمان فأقامت علاقة مع أحد العاطلين، وكان يأتيها مساء، يأكل من خيرات زوجها، ويطارحها الغرام اللذيذ.

انتشرت رائحة هذه العلاقة في أنحاء القرية الوادعة، وتطوع أحد أبناء القرية بمراسلة الزوج الغائب بعيدا عن أولاده وزوجته، وأطلعه على ما تفعله زوجته مع هذا العاطل.

سأل الزوج الغائب زوجته في التليفون عن حقيقة هذه العلاقة،

فأنكرت تماما، ولكن وقع في قلبه صدق ما أُخبر به، ولكنه لم يعر هذا الموضوع أى اهتمام بعد ذلك، وظلت الزوجة الشابة في علاقتها اللذيذة مع هذا الشاب العاطل، حتى عاد الزوج المغترب، وتبدلت حال الأسرة تماما من الفقر إلى الغنى، ولم تتغير أبدا مشاعر الزوج تجاه زوجته، وظل يكن لها كل الاحترام والود.

المتعة



عاد الزوج الشاب مغبر الوجه والجلباب بعد يوم مشحون بالعمل على الخلاط في مدينة العاشر من رمضان كباقى أيامه التى يقضيها من أجل أن يوفر لقمة العيش لزوجته الشابة وأولادهما.

كانت الزوجة بضة غضة خضراء العينين، صفراء الشعر على عكس بنات القرية،في حين كان الزوج نحيفا بادى النحافة، أسمر اللون، لا يكاد يتكلم، وهو لا يملك شيئا إلا ذراعه الذى يذهب به إلى مدينة العاشر من رمضان كل فجر، كى يقيم أود أسرته التى لا تملك شيئا.

كان العمل على الخلاط مرهقا حقا، فأبناء القرية يستيقظون قبل الفجر، ثم يركبون في حوش عربة داتسون نصف نقل في البرد القارس، وقد أخذ كل واحد ينضم إلى من بجانبه متكورا كى يشعر بالدفء.

وتظل العربة سائرة بهم لمدة ساعة ونصف الساعة في طريق غير ممهد كما ينبغى، وهم يهتزون داخل العربة كلما مروا على مطب من تلك المطبات الكثيرة المصنوعة أمام كل قرية أو مركز أثناء سيرهم، وفي المساء يعودون من الطريق نفسه، ويعانون المشقة نفسها. وكثيرا ما تصطدم السيارة بهم مع سيارة أخرى أو في شجرة، فلا يعودون من هذه الرحلة من أجل لقمة العيش العسيرة عليهم.

أما في العمل فإن معاناتهم لا شبيه لها لمن يراهم ولا يعمل في هذا

العمل، فهم قد تعودوا على الشقاء المتصل، ومن يسلم عليهم سيجد يدهم اليمنى وقد خشنت جدا وتشققت من أثر العمل.

إنهم يعملون كل يوم في الرمل والزلط وصب البيوت والعمارات والمصانع حتى تحولت مدينة العاشر من رمضان إلى بنايات فائقة تسر وتبهج الناظرين دون أن يلتفت لمثل هؤلاء أحد من المسؤولين.

لقد ذهب كثير من أفراد قريتى إلى العالم الآخر وهم في شرخ الشباب الفذ بسبب طبيعة هذا العمل الشاقة، إذ ربما انقلبت بهم السيارة، ويخرج من فيها إما جثة هامدة، وإما فاقدا لساقه أو جزءا غاليا من أجزاء جسده.

هذه الحوادث تكاد تحدث كل يوم وليس هناك تأمين صحى لهم، أو معاش للأسرة الثاكلة لمن يعولها.

حينما أذهب إلى القرية أرى في المساء النساء الشابات، والأمهات القلقات، وهن ينتظرن عودة السيارات المتأخرة بأبناء القرية من مدينة العاشر من رمضان.

تملأ رائحة البط المحمّر، والإوزبشربته وباقى الطعام المعتنى به أجواء القرية.

وحينما تعود السيارة بأمان من الله تكون فرحة أبناء القرية غامرة برجوع ذويهم.

في ليلة متأخرة عاد صاحبنا زوج هذه الشابة البضة الغضة خضراء

العيون ليجد الزقاق الذى أمام بيته مليئا بأهل القرية، فقد ضبطوا عند زوجته شابا يطارحها الغرام اللاهب، فأمسكوه.

كان هذا الشاب من عائلة كبيرة في القرية، يتميز عائلها بالجدية الكاملة، متزوجا عن قصة حب مدوية وله أولاد.

أما الزوج فقد كان متشوقا بعد يوم حافل بالعمل الشاق للمتعة في أحضان زوجته، ولكنه وجدها تهب المتعة في فراشه لشاب غيره.

تلقى الزوج الأمر ببساطة غريبة، ولم يعاتب زوجته.

صلاة المغرب



جاء الفلاحون من حقولهم يتتابعون بعد أذان المغرب، وحينما اطمأنوا على ماشيتهم وأنها دخلت الزرائب، وبدأت الزوجات في الاعتناء بها، ذهبوا إلى المسجد فرحين بالوضوء الذى أذهب عنهم الدرن، وفرحين بالصلاة التى تريح القلوب.

كان الوضوء في المسجد متعة كبيرة للفلاحين يشعرون بدفء المياه ودفء المسجد بعد برد الحقل.

كانت صلاة الجماعة الأولى قد انتهت، وهم حريصون على صلاة الجماعة.

شاب خرج من جلباب الطفولة فجأة يرتدى جلبابا أبيض يصلى. جاء أحد الفلاحين، وغمزه في كتفه، وصلى خلفه. وتتابع الفلاحون حتى اكتملت ثلاثة صفوف متراصة خلف الفتى.

ركع الفتى فركعوا خلفه، وقام من ركوعه فقاموا خلفه، سجد فسجدوا خلفه.

حوّل الفتى وجهه وهو ساجد، ونظر بإحدى عينيه خلفه فوجدهم منغمسين في السجود، قام الفتى متتسللا، وأخذ حذاءه، وتركهم ساجدين.

البئر

في أحد أجران القرية كانت هناك بئر لإحدى عائلات القرية، وكنا ونحن أطفال بعد اللعب المرهق نتحلق أحيانا حول هذه البئر.

كان هناك طفل يصغرني بعامين يجلس أمامي على حافة البئر.

وأثناء ضحكنا ومرحنا لا أدري كيف لمسته إحدى ركبتيّ فسقط في البئر، وجعل يدور فيه، نظرت إلى وجه الطفل وهو يتلقى رسل الموت، وقد أصابني الرعب، فلحظات قليلة ويموت الطفل وأتحول إلى قاتل بلا ذنب.

جاء صاحب البئر، وانحنى على حافته، ومد يده إلى الطفل الدائر ببطء، وبمهارة فائقة انتشله من البئر.

الحفيد



جاء الحفيد بعد انتظار طويل، فالابن هو أخ لبنتين، تزوج وأنجب ثلاث بنات تباعا، ماتت الأولى، وتمنى الجد أن يرزق ابنه بولد.

حينما جاء الحفيد كان سببا لفرحة الأهل به، وأصبحوا لا يعدلون به شيئا في دنياهم، وكثيرا ما كان يتقرب الأهل والجيران والمعارف للأسرة بملاطفة هذا الحفيد.

اشترى الجد نصيب إخوته من البيت الكبير، وهدمه وبدأ يبنى بيتا مكانه. وكانت هناك بئر محفورة في عمق المنزل يجلبون منها المياه.

كان الجد يتمنطق بحزام حول جلبابه المرفوع، وهو يناول البنّاء قوالب الطوب، وكثيرا ماكان يترك البنّاء وينفلت إلى موضع الحفيد الذى تعلم الحبو، ويصفق له بكلتا يديه، فيبتسم الحفيد لجده ويقبل عليه مسرعا في حبوه، ويبدأ في حركاته الراقصة، فيسعد الجد والأسرة كثيرا.

وفي يوم من الأيام وجد الجد حفيده الذى لا يكاد يعلم شيئاعلى حافة البئر محدقا في مياهه.

انزعج الجد وضمه إلى صدره بحنان بالغ، وعلى الفور ردم البئر.

دبلتان



كانت فتاة متفوقة في مرحلة المراهقة، كانت معجبة جدا به. قالت له عند نهاية اليوم الدراسى، وهما خارجان من مدرستهما الثانوية: أنا أعلم أن عقلك كبير، فأنت مختلف عن الآخرين، وهذا ما يشجعنى على أن أسألك لأعرف أنا إيه بالنسبة لك؟

قال لها: أنت تعلمين.

قالت: لا أريد جوابا الآن. خذ وقتا كافيا للتفكير.

قال: لا داعى للتفكير.

قالت: افعل من أجلى.

بعد ثلاثة أيام أثناء الفسحة الدراسية وثّقا عهدهما على الحب والإخلاص.

طلبت منه شراء دبلتين.

كانت مدرسة خاله ورفيق صباه في المركز، أما مدرسته هو فكانت في قرية مجاورة، وهى قرية حبيبته.

طلب من خاله إحضار دبلتين، فأحضر دبلتين متشابهتين لهما شكل جميل جدا.

لبسا الدبلتين، وكانا متفوقين حريصين على الإجابة أثناء طرح الأسئلة من المدرس.

وحينما طرح المدرس سؤالا فوجئ طلاب الفصل بدبلتين رائعتين تلمعان في أيديهما المرتفعتين من أجل طلب الإذن بالإجابة.

الدموع

كان في قرية حبيبته بعد فراق دام أكثر من عشرين عاما. قابله أخوها الذى كان يعلم بقصة حبهما، فأصر على اصطحابه إلى البيت، لم يجد بدا من الذهاب معه.

وحينما اقتربا من البيت قال الأخ: لعلك لم تشاهد أختى منذ زمن بعيد.

قال: نعم.

قال: إنها هنا.

حينما دخل البيت وجدها وأباها وأمها. سلّم على الجميع. كانت الأسرة تحبه جدا، وتعلم بقصة الحب الكبير بينه وابنتهم.

نظر إلى وجهها الذى فتح باب الذكريات على مصراعيه. كان الحديث مع هذه الأسرة أشبه بقطعة موسيقى هبطت من عالم سماوى. ومع ذلك فقد فتح باب الجراح في قلبين افترقا منذ أكثر من عشرين عاما.

أخبرها أن أمه توفاها الله، فقد كانت تعرف الأم جيدا، وتأتى لزيارتها أثناء العلاقة القوية بينهما.

أخبرته أن ابنها قد مات منذ شهور قليلة، وانسكبت دموع حارة على الوجنتين.

الباب يفوّت جمل



بعد كفاح طويل من أجل الحصول على شقة تأويه هو وزوجته وأولاده، باع في سبيل الحصول عليها كل ما يملك، أصابته الأمراض والعلل.

أثناء خلاف نشب بينهما نظرت زوجته إلى وجهه، ثم حوّلته إلى باب الشقة، وقالت له: الباب يفوّت جمل.

الحافلة



كان مغتربا في إحدى الدول النفطية بشمال إفريقيا، كان هناك معرض للكتاب في الجامعة، اشترى من المعرض كتبا، وجلس على كرسى الحافلة.

ركبت بجانبه فتاة وجهها يفتح بابا واسعا لعالم من السحر والخيال، أخذت بمجامع قلبه بشدة، دار إيقاع الحديث بينهما، وكأنهما يعرفان بعضهما منذ عالم سحيق.

قال لها: هل أنت مرتبطة؟

قالت: لا

قال: هل لديك مانع من الاقتران بى؟

قالت: أحضر أمك، وتقدم لزيارتنا.

طار قلبه من السعادة، واتفق معها على اللقاء بعد أسبوع أمام البنك الموجود في الجامعة.

ثم وصلت الحافلة بهما، سلمت عليه بحرارة بالغة، وتعانق طائران في القلب.

لم يكونا يعلمان أن يوم اللقاء المتفق عليه بينهما إجازة دراسية بمناسبة العيد، ولم يرها بعد ذلك، ولم تره، لكنه ظل يذكر الحافلة.

استراق السمع والنظر



كانت سيدة البيت ذات جمال فائق، وكان زوجها حديث الناس في الوجاهة والغنى،

يسكنان في بيت واسع الحجرات كثيرها، ذى حديقة غناء واسعة، ويمتلك الزوج ثروة كبيرة.

وكان هناك فتى فقير. مع كثير من الفلاحين . يعمل عندهما كلّافا، ينظف تحت الماشية ويسقيها ويطعمها، وهكذا.

كانت سيدة البيت حديث أهل القرية في الوضاءة والصباحة. في المساء عندما يهبط الظلام والضباب على بيوت القرية وشوارعها كان هذا الفتى الفقير يختلس الخطى،حيث يخلو شارع القرية الواسع إلا من كلب ضال أو قطة سوداء، وكان الفلاحون يعتقدون اعتقادا جازما أن القطة السوداء في المساء المتأخر ماهى إلا عفريت من الجن، ولكن هذا الفتى الشديد الفقر لا يلقى بالا لشئ، ويمضى متسللا حتى يصل إلى البيت الكبير الواسع ذى الحديقة الغنّاء، المخيفة في المساء، ويضع نواة بلح بين ضلفتى الشباك حتى يستطيع أن يختلس النظر إليهما، وهما متعانقان، يتبادلان الغرام اللاهب.

البرد

كان شاعرا مشهورا جدا، من الرواد، حديث أمته كلها، وكان موظفا كبيرا جدا، وكانت قدرته فائقة في مطارحة الغرام والهوى.

تزوج أكثر من واحدة، وكانت زوجته الأخيرة في زيارة لعائلتها في دولتها البعيدة، وكان مقيما في ذلك الوقت في شقته الواسعة.

إحدى المعجبات جدا به في دولة أخرى تعرفه معرفة جيدة. جاءت أختها إلى القاهرةفي بعض عملها، أوصتها الأخت بالمرور على هذا الشاعرالمشهورلمساعدتها فيما تحتاج إليه من مساعدة.

جاءته على عنوانه فوجدته بمفرده في الشقة، حياها بما يليق.وعرض عليها أن تقيم في الشقة معه، إذ ما الداعى إلى الذهاب إلى فندق، وشقته موجودة، وهو وحده فيها وزوجته مسافرة.

وافقت.

عرّفها على الحجرة التى ستبيت فيها، وأحضر إليها البطاطين، والألحفة الوثيرة، ثم تركها، وذهب إلى حجرته كى ينام.

حينما وضع جنبه على السرير، سمع طرقا خفيفا على باب حجرته فنهض فإذا بها في قميص النوم، وهى تقول له: الحجرة الأخرى بها برد شديد، فتح ذراعيه لها، وضمها بحنان بالغ، وطارحها الغرام اللاهب.

الزكيبة



كان من عادته السير في وقت متأخر من الليل مع صديق له بين المزارع والحقول. كان القمر غائبا والنجوم تبدو متوشحة بضباب أبيض، يتساقط أيضا على الحقول.

على حافة المصرف الذى يسيران عليه الهوينى بعد ان ابتعدا عن القرية بمسافة كبيرة جاء صوت من الترعة المملوءة تماما، يناديه باسمه، ويطلب صاحب الصوت أن يأتى إليه لمساعدته.

ترجرجا لهول المفاجأة، وأمسكا ببعضهما في خوف، ولكن الصوت عاد بنفس الوضوح والرجاء أن يساعده.

ذهب إلى صاحب الصوت فوجد ماء الترعة يغطي جسده كله ما عدا رأسه الذي لم يظهر فيه شعرة واحدة.

كان أحد فلاحى القرية، وأخبره أن هناك زكيبة تسد فتحة الماء المتسرب من الترعة إلى المصرف، ولابد من زحزحتها حتى لا تغرق الأراضى.

المطلوب أن ينزل معه الترعة لمساعدته في جذبها بقوة، لأنه لا يقدر وحده.

بدا في عيون صاحبه الشك والخوف، لكنه قرأ آيات من سورة يس، ولم ينصرف هذا الذى أمامه، فاطمأن قلبه، ونزل الترعة، وأمسكا معا بخناق الزكيبة، وفي عزمة قوية زحزحاها عن موضعها، فانطلق هدير المياه الصاخب من الترعة إلى المصرف، ولم تغرق الأراضى.

الزعيق



كان في غرفته المغلقة الباب، ذات الشرفة العالية المطلة على الفضاء الفسيح، يطيل النظر إلى النجوم، وقد انفتحت روحه على عالم خيالى ملئ بالسحر والغموض.

فجأة هبطت فتاة ذات جمال ساحرإلى شرفته، تلقاها بسعادة غامرة، وأخذ يحدثها وتحدثه.

طلب منها أن يأخذ لها صورة على تليفونه المحمول. وافقت. رجع مسافة مناسبة، وضبط كاميرا التليفون لالتقاط صورتها الرائعة، وفجأة جاء صوت الزوجة بضجيجها وصخبها، فانفلتت الفتاة إلى الفضاء العريض، ومازالت كاميرا التليفون المحمول جاهزة لالتقاط الصورة، لكن الفتاة لم تعد.

الزلزال



كان يجمعهما الحب، الزوجة والزوج والصغار، وكان كثيرا ما يعبر لها عن حبه وتعلقه الشديد بها، وأنه على استعداد تام للتضحية بحياته نفسها إذا لزم الأمر من أجلها، وأجل الأولاد، وكانت تبادله حبا بحب وإخلاصا بإخلاص.

كانت شقتهما بإحدى الطوابق العليا بالعمارة الفاخرة التى يسكنان فيها.

كان بملابسه الداخلية، ذلك بعد أن رجع من عمله، بعد يوم حافل بالجهد والعرق.

كان الصغار مثل اللؤلؤ المنثور في أنحاء الشقة، أما الزوجة فكانت في المطبخ تعد طعام الغداء.

فجأة ضرب زلزال شديد المدينة، فاهتزت العمارة مترنحة، وبدأت تذهب إلى أقصى اليمين، وتعود إلى أقصى اليسار، متأهبة لسقوط مريع.

انفلت الزوج بسرعة البرق إلى الشارع، تاركا الزوجة والأولاد لمصيرهم.

ينسون



كانوا في فندق سميراميس، أربعة رجال متفاوتون في العمر والقناعات والمزاج. كانوا يتحدثون في الفكر والأدب، أحدهم كان شاعرا كبيرا جدا، والثانى كان رئيس تحرير إحدى المجلات المرموقة، والثالث كان أستاذا جامعيا نابها، أما الرابع فكان في ذلك الوقت منهمكا في إعداد رسالة الماجستير عن شعر الشاعر الكبير.

أثناء انهماكهم في الحديث، جاء الجرسون عارضا عليهم ما يطلبون، أما الشاعر الكبير فقد طلب بيرة، ثم أشار إلى الآخرين ماذا يطلبون.

الصحفي الكبير طلب بيرة أيضا، وطالب الماجستير طلب موزا باللبن، أما الأستاذ النابه فقد طلب ينسون.

الفأس



كان الجد في الثمانين من عمره حريصا على زراعة الأرض حرصا بالغا، فالأسرة كبيرة، وما يملكه من أرض يعولهم.

سأل الجد ابنه حين عودته في المساء: هل حفرت القيد؟

حيث كان الجد يتوقع أن يأتى ماء الترعة قبل الفجر، ويجب أن يكون القيد الذى تمر فيه المياه محفورا.

أجاب الابن: لا

انفجر الجد غاضبا في ابنه، لاعنا إهماله، وعازما عليه أن يعود من فوره ليحفر القيد، الأولاد يضحكون، والأب يرفض بشدة، والجد في ثورة كبيرة.

أقسم الجد بالطلاق أن يُحفر القيد في هذه الليلة، ولكن دون جدوى من الابن.

فما كان من الجد إلا أن أخذ الفأس بنفسه، وقفز بمهارة السنين على حمارته، وقال: أنا أذهب لأحفره بنفسى.

سارت الحمارة بعزيمة تستمدها من عزيمة الجد، حتى وصلت إلى الأرض.

كان ذلك بعد صلاة العشاء، كان الجد يحفر القيد وهو جالس على ريشة القيد، وحوله الزرع، وكانت الأرض تطل على الترعة مباشرة في حين كانت الحافة الأخرى من الترعة طريقا يربط بين الطريق العمومى الذاهب إلى المركز، والذى يمر بالقرية وعزبة مجاورة.

كان أهالى العزبة دائما ما يمرون على هذه السكّة، تبدو أنوار القرية من بعيد فتسهم في منح الأشجار ظلالامتحركة.

كان الجد يرفع الفأس بعزيمة قوية وهو جالس، السائرون على الطريق كانوا يرون فأسا ترتفع وتنخفض مرتطمة بالأرض دون أن يكون لها صاحب يُرى!

كل من سار على الطريق في ذلك اليوم رجع مطلقا ساقيه للريح راجعا من حيث أتى، وبداخله قناعة قوية بأنه رأى في تلك الليلة فأسا ترتفع وتنخفض دون أن يحركها أحد.

الطبيب

مرضت الزوجة، فأرسلت في استدعاء الطبيب، واستدعت أختها لتكون معها.

جاء الطبيب، وكان الزوج في المنزل، ومعه بعض الأصحاب، كان الزوج مع أصحابه في الصالة.

سلّم الطبيب، ودخل إلى حجرة الزوجة، ومعها أختها، وترك الباب مواربا على الصالة.

كانت الأخت تجلس جهة الباب المؤدى إلى الصالة،تراقب حركات الزوج الذى يجلس مع بعض ضيوفه خوفا من دخوله فجأة، في حين تنحى الطبيب بالزوجة جانبا يقبلها، ويهتصر غصنها الفياض.

البلكونة



هاتفته، وعلم أن زوجها والأولاد ذهبوا إلى النادى، وهى وحدها في الشقة، ذهب على الفور، فوجد الأمر على مايرام، قبّلها، ووضع ساعده على خصرها، وذهبا إلى حجرة النوم، وتجردا من ملابسهما، وجعل يطارحها الغرام اللاهب، وأثناء الانهماك تماما في مطارحة الغرام، انتفضت بحركة جنونية قائلة: زوجى، فقد عرفت وقع خطواته على السلّم، كالبرق ارتدى ملابسه، وارتدت ملابسها، وانفلت من باب غرفة النوم المؤدى إلى البلكونة في الدور السابع، وانتحى جانبا، بعيدا عن واجهة الباب، ووضع يديه على درابزين البلكونة، وكان في مواجهة العمارة فندق، وبه موظفون وعمال، فجعل ينظر إليهم، وينظرون إليه بغير تركيز.

أما الزوج فقد فتح باب الشقة بمفتاحه، ودخل على زوجته في غرفة النوم، وقد ألقى أشياء معه على السرير، اقتربت الزوجة منه، وبحنان بالغ، قالت له يجب أن تأخذ دشا، فرائحة عرقك واضحة، امتثل الزوج لهذا الأمر، ودخل الحمام،فذهبت مسرعة إلى البلكونة، وأشارت إلى صاحبنا فانفلت كالشعاع الخاطف إلى سلم العمارة، وماهى إلا لحظات حتى كان في الشارع.

البيت

كان بيتها من الطوب اللبن، تغمرها السعادة مع زوجها وأولادها، وكانت أمنيتها أن تبنى بيتا عصريا.

باع زوجها جزءا من أرضه، وبنى بيتا فخما، أساسه متين، وأعمدته قوية.

كان البيت حديث القرية، ما إن بنى البيت وأحسن تشطيبه، حتى جاءها ملاك الموت، فانتقلت إلى رحاب الله، وتركت زوجها يشعر بآلام الفراق القاتل في البيت العصرى.

الاختيار

كانت جميلة جدا، تقدّم إليها شابان، الأول ابن خالتها الكبرى، والثانى ابن خالتها الصغرى.

جلس الأب والأم والابنة مساء من أجل الاختيار. وقع الاختيار على الأول، فهو متطوع في الجيش، له راتب كبير ثابت، أما الثانى فيعمل في تجارة الأقمشة مع والده، وعلى الرغم من الغنى الظاهر، فإن الكفة مالت إلى الموظف. كما أنه متعلم، حاصل على الإعدادية، أما الثانى فهو غير متعلم،كما يتميز الأول بالبنيان القوى، والصحة النابضة.

تم الزواج من الأول، وفي فترة وجيزة أنجبت خمسة أولاد وبنتا.

وفجأة غادر زوجها الحياة، وهو في معسكره، وتركها في العشرينيات تكافح من أجل تربية الأولاد.

العزومة



كان أديبا كبيرا جدا، له إسهامه الواضح في الحركة الأدبية المعاصرة، وله شهرته العريضة أيضا، لكنه لم يتزوج.

رشّحت أسرته له فتاة جميلة، ذهب ليتعرف عليها، لكن لم يحدث نصيب.

تزوجت الفتاة من عالم مشهور جدا، له شهرته العالمية في مجال تخصصه.

أوحت الزوجة لزوجها أن يعزم الأديب المشهور الذى يعرفه جيدا، والذى تقرأ له الدنيا كلها.

وحينما جاء الأديب المشهور بدا للزوج أن يعرّفه على زوجته، ويعرّفها عليه، دون أن يعلم أن الزوجة أوحت إليه بهذه العزومة لكى يعرف ذلك الأديب أنها أصبحت زوجة لعالم طبقت شهرته الآفاق.

الرجال

جاءتهم إخبارية بأن سربا من الدبابات سيتقدم إليهم، والمطلوب وقف هذا التقدم.

كانت أرض المعركة مستوية، ليس بها جبال أو تلال، ليهربوا فيها، وليس فيها غابات ليختفوا خلف الأشجار.

تفتق ذهن القائد النابه عن حيلة بارعة، هى أن كل جندى يحفر لنفسه حفرة على جانبى الطريق، هذه الحفرة تكون كافية لستره، ثم يضع على فتحة كل حفرة غطاء خفيفا، عليه رمال من رمال أرض المعركة.

تقدمت الدبابات، بدا الطريق أمامها خاليا، حتى إذا سارت مسافة كافية في طريقها، بدأت إشارات القائد تصل إلى كل واحد في حفرته. وفجأة شاهدت الدبابات الأرض تخرج رجالها.

ودارت معركة رهيبة بين الرجال والدبابات. استشهد نصف الرجال، ولم تتقدم الدبابات خطوة واحدة، حيث تم تدميرها بالكامل.

الشيخ سامى



كان صديقه في الفرقة الأولى من كلية الآداب، قسم الجغرافيا، وكان قلقا جدا بسبب النتيجة، ويريد أن يعرف نتيجته.

قلت له: من المؤكد أن النتيجة ظهرت في الكنترول، وستعرفها غدا، أو بعد غد، لكنه كان متعجلا من أمره، اقترحت عليه أن يذهب إلى الشيخ سامى، ليعرف لنا النتيجة، وهذا ليس رجما بالغيب، لأن الشيخ سامى سيذهب إلى الكنترول، ويحضر شيئا معروفا، فهى ليست غيبا على الإطلاق، وإنما غيب بالنسبة لنا في الكنترول، والشيخ سامى له سر باتع، والناس يأتون إليه من الأصقاع البعيدة..

ذهب ثلاثتنا أنا وصديقى صاحب النتيجة وصديقنا الثالث الذى كان عملاقا أفلت من العصور القديمة.

كان صاحب النتيجة يرتدى ملابس داخلية ملطخة بلطخات كبيرة من طين الأرض التى كان يعمل فيها مع والده، حيث كان الوقت وقت شتل الأرز، ويلبس فوقها جلبابا حسن المنظر نظيفا.

كان أهل القرية يحترموننا لأن تعليمنا حسن. سرنا في الزقاق الذى توجد في نهايته دار الشيخ سامى، وأهل الزقاق يتعجبون من وجودنا فيه، فنادرا ما شاهدوا أحدنا فيه. سألناهم عن بيت الشيخ سامى فدلونا عليه.

دخلنا فناء واسعا للدار بعضه مسقوف بالخشب والجريد، وبعضه الآخر ليس مسقوفا بشئ. تبدو الدار متهالكة إلى حد ما، فهى من الطوب اللبن.

ومخلفات البط لم تكن قد كّنست بعد، كما كانت هناك معزة كبيرة، وخلفها معزتان صغيرتان في وسط الدار.

سلمت علينا سيدة في أواخر الخمسينيات من عمرها، ضخمة الرأس جدا، ويبدو شعرها الأكرت من تحت الإيشارب المنحسر عن الرأس، إحدى عينيها يبدو تجويفها غامضا مخيفا.

أدخلتنا إلى إحدى الحجرات، وأغلقت الباب علينا، وكان الشباك مفتوحا أغلقته، ولكن ضوء آخر النهار تسربت حزمات واهنة منه من فتحات طولية واهنة في الشباك.

كما بدت رائحة دخان الطهى في الكوانين والأفران في هذا الزقاق الناتج عن حرق القش والهندى، كى يكونا وقودا لإنضاج الطعام.

جلست أنا وصديقى العملاق الذى أفلت من العصور القديمة على كنبة وحيدة موجودة في جانب الحجرة.

أما السيدة المخيفة التى يطلق عليها الشيخ سامى فقد تنحت بصاحبنا إلى أرضية الغرفة، وجعلت تضرب الأرض بيديها وتضرب صدرها، ويخرج صوتها غريبا حزينا، اطلع يا سامى . اطلع ياحبيبى . يا سامى . سامى . سامى.

ثم اشتدت حركتها فجأة، وخرجت بحّات متشنجة، وبدا التشنج الشديد على وجهها وجسدها، ثم طلبت من صاحبنا المال، فأعطاها ما في جيبه، وضعته فورا في جلبابها، ثم صرخت فيه: أريد أثرا من آثارك.

قال: ليس معى أثر.

لكن ذهنه أسعفه فخلع جلبابه الحسن، وأعطاه لها، وكان نحيفا طويلا، يرتدى ملابس داخلية ملطخة بالطين، ذا شعر أكرت، وعيون جاحظة.

كان صديقى العملاق الذى أفلت من العصور القديمة يمسك بيدى بشدة، وقد ظهر الرعب على وجهه البرئ.

أما هى فقد أمسكت الأثر، وجعلت تضغط عليه بيديها، وتضعها على الأرض، طالبة من الشيخ سامى أن يتعرف على هذا الأثر، لكى يلبى مطالب صاحبه، وأثناء انهماكها في التشنجات والصراخ كان صاحبنا متربعا على الأرض أمامها، بملابسه الداخلية الملطخة ببقع الطين، وقد ظهرت ساقاه وذراعاه في منتهى النحافة والطول.

وإذا بها فجأة أثناء ما تقوم به من تشنجات تضربه بيدها اليمنى على فخذه اليسرى ضربة شديدة جدا، فقفز صاحبنا صارخا إلى السماء، ثم سقط ثانية على الأرض، وصاحبى العملاق الذى أفلت من العصور القديمة يزداد ضغط يديه على يدى، ويتكور على الكنبة، وقد ظهر الرعب الحاد على وجهه البرئ.

وأخيرا قالت المرأة المخيفة: أبشر فقد نجحت في الإملاء والحساب!.

التفاح



طلبت الابنة من أبيها شراء تفاح أمريكانى. كان سائرا في ميدان العتبة، فوجد بائعا يبيع هذا التفاح، كان منظر التفاح رائعا حقا، وسعره أقل من المناطق الأخرى بكثير.

ذهب إلى البائع واشترى منه كيلوين من التفاح.

أخرج النقود من جيبه، لاحظ البائع وهو يسترق النظر إلى النقود الكثيرة معه.

أعطاه ورقة فئة المائة جنيه، أعطاه البائع الباقى، فوجده ينقص جنيها، فأخبر البائع أن هناك جنيها ناقصا.

قال البائع: أعطنى النقود، ثم عدها أمامه، فوجدها فعلا تنقص جنيها واحدا.فتح الدرج وأحضر له الجنيه، وطبّق الأوراق المالية،وأعطاها له، وضعها في جيبه، ثم مضى إلى محطة المترو.

أخرج الباقى الذى وضعه كما هو في جيب آخر، غير الجيب الذى فيه ألأموال الأخرى لكى يأخذ منه جنيها ثمن تذكرة المترو، وجد المبلغ المتبقى ينقص أربعين جنيها.

أعاد العد مرة ومرة لكن المبلغ ناقص. جعل يبحث في ذاكرته ويسأل: هل ذهب لشراء شئ آخر غير التفاح، لم يجد.

قصد البائع، كان شابا ضخم الجثة جدا، أسمر الون، وأخبره أن المبلغ الذى معه ينقص أربعين جنيها.

قال له البائع: هذا ليس ذنبى، لقد أعطيتك المبلغ كاملا، وعددته أمامك.

قال: نعم، حدث هذا، لكن المبلغ ينقص أربعين جنيها، وأنا لم أذهب لأحد غيرك.

كان هناك رجل واقف بجانبه، فقال: أنت أخذت نقودك، وسرت، وهذا ليس ذنبه وفي البنك إذا كان هناك أحد العملاء، وأخذ أموالا، وبعد عن الشباك، فليس من حقه العودة للمراجعة.

فقال لهذا الرجل، وقد حدّق في عينيه: ما اسمك؟

فأجاب: ليس هناك داع لتعرف اسمى.

سأله عن قسم الشرطة، أجاب بعد مائة متر على اليمين.

انطلق إلى قسم الشرطة، وإذا بالبائع يصيح قائلا: إن قسم الشرطة ليس في هذا الاتجاه، ولكنه في الاتجاه المعاكس.

لم يهتم بما قال، وانطلق إلى قسم الشرطة.

دخل القسم، فوجد مجموعة من الضباط والعسكر، قص عليهم قصته، بعد أن عرّفهم بنفسه.

أرسلوه إلى أحد العساكر في الميدان، حينما ذهب إليه، وقص عليه القصص، قال رفيق بجانبه: إنه مُحَّد، لا يفعل هذا غير مُحَّد.

أخذ العسكرى كيس التفاح متعجبا من خفة وزنه، قصد البائع. حينما رأى البائع الشرطى أخرج الأربعين جنيها، وأعطاها له، أعطاه الشرطى أيضا كيس التفاح، وأخذ ثمنه، ورجع المال إلى صاحبه.

المانجة



كان عائدا من الإسكندرية من عند خطيبته ذات الجمال الفائق، وحينما وصل إلى مدينة ميت غمرالتقى أخاه المجند مصادفة، فقد كان هو الآخر عائدا من كتيبته في الإسكندرية، كانت مصادفة سعيدة جدا لكليهما، اشترى فاكهة المانجو لأسرته الكبيرة في القرية، وركبا سيارة من ميت غمر إلى ديرب نجم، ودار الحديث بين الركاب، كل ومن يعرفه، والسيارة تسير في الطريق، كان ذلك في المساء، وكان هناك راكب كهل بين الركاب يوحى منظره بعدم الارتياح والطيبة في الوقت نفسه، وحينما وصلت السيارة إلى قرية أوليلة نزل هذا الراكب مع من نزل، وفي يده كيس من المانجو، صاح في أخيه المجند، وهو ينظر إلى الكيس في يد هذا الرجل، وقال "المانجة"، وإذا بأخيه يقفز مسرعا من السيارة، ويمسك بالكيس من الرجل، ويقول: "هات المانجة".

قال الرجل: إنها ملكى، اشتريتها من حر مالى، لكن المجند لا يصغى إليه، ويقول: أيها الحرامى أعطنى المانجة.

قال الرجل: أنا أملك ألف جنيه في بيتى، كيف لى أن أسرق كيسا من المانجة!.

وعلا الصياح، وبدأ الناس يتدخلون، والسيارة واقفة، وبدأ بعض أهل

القرية يجيئون،والمجند لا يترك ذراع الرجل، إذ لابد من أخذ كيس المانجة.

أحد الركاب في السيارة رفع كيسا للمانجة من تحت الكرسى الذى يجلس عليه الركاب، وقال للمجند: أهذا الكيس كيسك؟

نظر إليه المجند باستغراب وقال: نعم.

هذا كيس المانجة الذى اشتراه أخى.

حسام شطة



كان فتى مليئا بالحيوية والنشاط، والقوة الفائقة، أقرب إلى الطول، تبدو أمارات العزيمة على وجهه، لم يكن في جسده نتوءات بارزة.

كانت صبايا البلدة الصغيرات كثيرا ما يلعبن في شوارعها الواسعة، وفجأة تصيح إحداهن: حسام شطة.

فيتملكهن الرعب، وربما جرى بعضهن، أما الأخريات أثناء جريهن يلتصقن بالأرض فجأة، ذلك حينما يأتى حسام شطة في غاية السرعة من مكان مرتفع، ثم يقفز من فوقهن قفزة هائلة، ولا تلمس قدمه إحداهن أبدا.

أحيانا كان آباء البنات يغضبون منه، فيجتمعون لمعاقبته، لكنهم لم يستطيعوا أبدا معاقبته، لأنه كان سريع الحركة جدا، وإذا أحس بمؤامرة تحاك ضده من أجل الإمساك به فإنه يذهب إلى مقابر القرية المخيفة ثم يرتقى قمة ذكر النخل الشاهقة، ويجلس بين الجريد إلى أن يقترب الفجر، ثم يذهب إلى بيته في أمان.

كان سعد البنهاوي عملاقا من أسرة عملاقة، كان يلعب هو وشباب القرية الاستغماية، وكان في الفريق الآخر حسام شطة.

كان سعد هاربا ما شاء الله له الهروب، ثم أقبل في غاية السرعة بجسده

الضخم لكى يدخل الاستغماية، فاعترضه حسام شطة في ركبته بقدمه الحديدية، فطار العملاق صارخا في الهواء، ثم سقط سقوطا مدويا، وقد ارتطم جسده بعمود النور، وفقد الوعى تماما.

حين اقترب حسام شطة من الأربعين أصبح جسده مسكنا للأمراض والعلل، رأيته وهو يسير في شارع القرية العمومى بصعوبة بالغة، وإذا ألقى عليه أحد السلام كان يعانى صعوبة كبيرة من أجل الرد عليه.

قبل أن يصل إلى الخامسة والأربعين مات حسام شطة متأثرا بأمراضه.

ثلاث ليال



كان قوى البنية، فجأة مات، دفنوه في مقابر القرية، أخذ أخوه العزاء فيه، كانت إطلالة الموت الفجائى ترسم على وجوه أهل القرية سمتها.

في عمق المساء حضرت مجموعة من لصوص المقابر، ذهبوا إلى قبره، وفتحوه، كان معهم خطاف أرسلوه إلى الجثة الراقدة في مثواها الأخير، جروها حتى خرجت من المقبرة، كان معهم زكيبة من القش أرادوا أن يضعوها مكان الميت.

كانت مقابر القرية بغير سور حولها، وقد امتد العمران حتى وصل إلى حدود المقابر، أحد الساكنين خرج من بيته ةمساء ليفك حصره، شاهدهم، فصرخ فيهم فإذا بهم يركبون دراجتهم البخارية، وينطلقون مسرعين تاركين الجثة بجانبها الزكيبة.

جاء أخو الميت وأقرباؤه، وأقاموا ثلاث ليال كاملة بجانب قبره.

وسارت هذه عادة أهل القرية إذا مات أحدهم.

محمد



كنت نائما، فرأيت فيما يرى النائم أننى مسافر إلى القرية، وحينما دخلت بيت الحاج بركات رحمه الله، وهوعم والدى، رأيت أبى، فسلمت عليه، وزوج أختى السعيد بن الحاج بركات، ورجال من عائلتى، سلمت عليهم بحرارة بالغة، وفجأة رأيت بينهم مُحَمَّد الابن الأكبر للحاج بركات، والذى توفي منذ تسع سنوات، رأيته في كامل صحته، وحسن هندامه، سلمت عليه بحرارة بالغة متعجبا من ظهوره فجأة بين رجال العائلة.

استيقظت من النوم، وقضيت يوما حافلا بالعمل، وفي المساء اتصل بى السعيد بركات زوج أختى، وأخبرنى أن زوجته، وهى أختى قد أنجبت مولودا، باركت له، وحينما سألته عن الاسم الذى اختاره للمولود، قال: مُحَمَّد.

الطلاق



كانت في الرابعة والثمانين من عمرها، قصيرة ونحيفة، لكنها ما زالت تحتفظ بنشاطها، وأسنانها كاملة لم تسقط منها واحدة، في حين كان زوجها في الخامسة والسبعين من عمره، تبدو عليه أمارات الصحة والمعنويات العالية.

في صباح أحد الأيام طلبت الزوجة ذات الأربعة والثمانين عاما، الطلاق من زوجها، ذلك حينما حضر ابنها، وعمه الأصغر وابن عمه الأكبر، وكان سبب رغبتها الحارة في الطلاق ما حدث ليلة أمس، فقد كان زوجها نائما على السرير، ونامت بجانبه موحية له برغبتها فيه، فتركها الزوج دون تلبية رغبتها، ونام على أرضية الغرفة، وحينما تركت السرير، وذهبت إلى جانبه على أرضية الغرفة، تركها وصعد إلى السرير، فتعقبته وذهبت إلى السرير، فتركها إلى أرضية الغرفة.

كانت الزوجة تقص ذلك بحرقة بالغة، في حين استغرق الجميع في ضحك متصل.

البسبوسة



كانت في العاشرة من عمرها،تبدو عليها أمارات الوضاءة والجمال. أرسلها الجد حاملة بعض البرسيم إلى صديقه ذى الثمانين ربيعا وزوجته، فقد كان ذلك الصديق لا يملك أرضا، ويعيش هو وزوجته من معاشه، ذهبت الطفلة إلى بيت هذا الصديق فأخذها إلى إحدى حجرات البيت كى تضع فيها البرسيم، وكان عملاقا جدا، وكأنه أفلت من العصور الغابرة في غفوة من الزمن.

حينما دخلت الطفلة الحجرة، طلب منها قبلة، فانفلتت مطلقة ساقيها للريح بقوة جنونية، وجعلت تجرى في شارع القرية الواسع الطويل بلا هوادة حتى وصلت إلى بيتها، فقصت على جدها وأمها ماحدث، وماهى إلا لحظات حتى أقبل الصديق الشيخ مهرولا، وهو يحمل معه بسبوسة.

الأستاذ رشدى



نقل العامل بوحدة الشؤؤن الاجتماعية من قريته الجواشنة إلى قرية دبيج النى تبعد عن قريته حوالى كيلو ونصف الكيلو، فالتقى به بعض وجهاء القرية، ومنهم رجل تبدو عليه أمارات الوجاهة، يلبس جلبابا شديد البياض، ويلبس نظارة سوداء، فقال له من أى القرى أنت ؟

فقال من قرية الجواشنة.

هل تعرف الأشتاذ رشدى بدوى؟

نعم، وهناك صلة قرابة بيننا، فهو ابن عمة أمى.

فتنهد الرجل، وقال لم يحدث في حياتى أن رأيت شابا في فتوته.

كان الأستاذ رشدى أشقر، تام الشكل، تبدو في وجهه ملامح الطيبة رغم قوته الواضحة، كان ناظرا لمدرسة ابتدائية في قرية دبيج، وحدث أن رأى تقاعسا شديدا من المدرسين في عملهم، فهم ما يكادون يمضون أسماءهم في دفتر الحضور والانصراف، حتى يغادروا المدرسة، فقرر الناظر معاقبة من يفعل ذلك، وذلك عن طريق عدم التوقيع للمتأخرين، وكتابة "خروج بدون إذن" أمام المزوّغين، وتكرر هذا الأمر كثيرا.

فتضايق المدرسون كثيرا من هذا الناظر الغريب عن بلدتهم، وبيتوا أمرهم على أن يعطوه علقة ساخنة في صباح اليوم التالى، وسيتم نقله

بسبب هذه المشكلة.

جاء صباح اليوم التالى، ورأى الأستاذ رشدى جميع المدرسين على غير العادة في طابور الصباح، وكانوا ستة عشر مدرسا، وحينما انتهى طابور الصباح، ودخل الناظر غرفته الواسعة جاء المدرسون الستة عشر تباعا إلى مكتبه، وأغلق آخر الداخلين باب المكتب بالمفتاح، وكان الأستاذ رشدى جالسا على مكتبه، فتعجب من هذا الدخول الجماعى، وتعجب من غلق باب المكتب بالمفتاح.

وتساءل في إيه ؟

فوجه أقربهم إليه له لكمة قوية، تحاشاها الأستاذ رشدى بحركة سريعة من يده اليسرى، وهجم الأقربون عليه، فوقف بسرعة خاطفة، وقد قلب المكتب عليهم، وبدأ برشاقة غير معهودة، وقوة مفرطة في توجيه الضربات من يديه وقدميه إليهم، وكل من يأخذ صربة منه، يفقد توازنه تماما، ويتكوم في إعياء تام وأنين متصل على الأرض، ويهجم الأستاذ رشدى عليهم جميعا وقد تحول إلى عاصفة لا ترد، وقد انبعثت الصرخات المذعورة من حجرة مكتبه، حتى وصل صراخهم إلى الشوارع المجاورة.

وتساءل الناس ماذا يحدث ؟

فأخبرهم بعض العالمين بالمؤامرة أن الناظر يأخذ علقة ساخنة.

وحينما بدا اختلاف نبرات الأصوات المذعورة دخلوا حوش المدرسة، وتوجهوا إلى مكتب الناظر وكسروه، فوجدوا المدرسين متكومين، ومتناثرين في إعياء تام، فهجم بعض أقربائهم على الأستاذ رشدى فساقهم أمامه إلى

حوش المدرسة، وكل من يأخذ ضربة من يده أو قدمه يسقط أرضا في صرخة بائسة، ولم يجرؤ أحد من أهل القرية جميعا على الاقتراب من هذا الوحش المخيف.

مر اليوم وذهب الأستاذ رشدى إلى قريته دون أن يعترض طريقه أحد.

وفي صباح اليوم التالى كان الأستاذ رشدى في طابور الصباح فتعجبت القرية كلها من هذا الشخص الذى لا يعرف الخوف طريقا إلى قلبه.

وقد أرسل مدرسو المدرسة شكوى إلى الإدارة التعليمية بأن الناظر ضربنا جميعا.

الغريب أن هذا الأمر قد تكرر في كل مدرسة ذهب إليها الأستاذ رشدى.

الجاموسة



كانت العمة يَمَن أم الأستاذ رشدى مغرقة في الشيخوخة، طويلة فارهة الطول، وقد خط الزمن على وجهها كثيرا من خطوطه، ولم تكن في بحبوحة من العيش، وحدث أن كانت في يوم من الأيام تغسل الغلة، وتفردها على شريطين من الحصير أمام بيتها في شارع القرية الواسع، وقد نادت علي ابنة أخيها المتزوجة، وهى في طريقها إلى زيارة أمها، كى تساعدها في نشر الغلة، وأثناء الانهماك في العمل، أبصرت العمة يمن جاموسة أحد الجيران وقد انطلقت في عنفوانها الجنونى المشهورة به متوجهة إلى الحصير المنشور عليه الغلة، فصرخت العمة يمن على ابنها الأستاذ رشدى "الحقنى يارشدى" فخرج الابن في سرعة الريح العاصف ولم يكن عليه سوى غياره الداخلى ناصع البياض، فأبصر الجاموسة التى تحاشاها كل من رآها، فانطلق الأستاذ رشدى مواجها الجاموسة النافرة التى قطعت حبلها، وأمسك قرنيها بكلتا يديه، وإذا بالجاموسة تدفعه بكل عنفوانها فتراجع خطوات، حتى تمكن لقدميه في الأرض، ودفعها بكل عنفوانه فتراجعت خطوات، ومن رآهما من أهل القرية ظل يتفرج باستغراب على هذا الصراع بين الجاموسة العنيفة والأستاذ رشدى، وقد تكررت حركة الدفع من الجاموسة والأستاذ رشدى مرات، وفجأة لوى الأستاذ رشدى قرنى الجاموسة بسرعة فائقة وقوة واضحة فانقلبت الجاموسة على الأرض، ثم

نظرت للأستاذ رشدى، وقامت من صرعتها، ثم انطلقت فارة إلى الزريبة التى أتت منها.

الغريب أن هذه الجاموسة المعروفة بعنفوانها، وقطعها الحبل ثم انطلاقها في شوارع القرية بعنفوان شديد. لم يتكرر منها هذا الأمر بعد صرعتها من الأستاذ رشدى.

الشكلة



كان عملاقا جدا سئ الخلق من أسرة عملاقة معروفة بسوء الخلق، والخناقات مع أهل القرية لأتفه الأسباب، له سبعة إخوة من العماليق، يعيشون في ضائقة شديدة من العيش، ولا يكاد هذا العملاق الهائل يجد ما يأكله هو وزوجته وأولاده الكثار، فكان يتاجر في الحمير، وكلما رأى حمارة ميتة، أو أى حيوان ميت ملقى في مصرف القرية الواسع، يخلع جلبابه وينزل ويقضى وقتا في سلخ جلد هذه الحمارة او الحيوان، ثم يأخذه ويبيعه في السوق.

كان أهل القرية يعرفون قوته الهائلة، وجبروته الشديد وسوء خلقه الواضح وكثرة خناقاته فيتحاشونه قدر الإمكان.

كان أحد أبناء القرية قد اشترى منه حمارة، ولم يسدد ثمنها كاملا كما يريد هذا العملاق، في حين يرى هذا الرجل أنه قد سدد ثمنها.

كان هذا الرجل الذى اشترى الحمارة من هذا العملاق الضخم حاد الذكاء جدا،أقرب إلى القصر، ممتلئ الجسم إلى حد ما، ومعروف في القرية كلها بمشاكله التى تسبق شهرة هذا العملاق في المشاكل. وعلى الرغم من عدم الإفراط في القوة الجسدية فإن القرية كلها كانت تتحاشاه، لجرأته الشديدة على الضرب بالمطواة وقت اللزوم.

وما زالت القرية كلها تذكر حادثة المسجد أثناء صلاة الجمعة، حين

غضب من أسرة في القرية، لأن قريبا له بعيدا جدا في درجة القرابة مات في خناقة معها عن طريق الخطأ، فصمم على قتل أحد أفراد هذه الأسرة، وقد اختار المسجد الكبير مكانا للقتل، وأثناء خطبة الجمعة زمانا، حيث ضرب ابنا شابا من أفرادها متزوجا حديثا أثناء خطبة الجمعة بالمطواة، ولكن جاره في الصلاة أمسك يده، فأصاب الشاب إصابة بالغة، ولكنها لم تودِ بحياته، بسبب هذا الجار في الصف الذى أمسك يده.

كان راكبا الحمارة عائدا من الحقل في قيلولة يوم شديد الحرارة، فاعترضه العملاق، وأمسك بخدمة الحمارة طالبا منه النزول، لأنه سيأخذ الحمارة، رأى أن هذه إهانة بالغة له، ولكنه يرى أمامه عملاقا شديد الضخامة ذا شهرة عريضة في حدة الطباع، وهو عائد من الحقل، وليس معه شئ يستطيع أن يضرب به هذا العملاق إذا دخل معه في خناقة.

كما أن العملاق كان قريبا من بيته المملوء بالإخوة العماليق، ذوى النبابيت التى لا ترحم.

نظر فرأى الأستاذ رشدى ابن عمته في فناء بيته، وهو بغياره الداخلى ناصع البياض، يحمل برسيما، يقدمه لجاموسته.

كما رأى عمه قادما من بعيد في شارع القرية الواسع، عائدا من صلاة الظهر.

وعلى الفور وجه لطمة قوية جدا إلى وجه العملاق الشديد الحمرة، فطرقعت هذه اللطمة، ودارت الشكلة بينه وبين هذا العملاق الشديد القوى، نظر الأستاذ رشدى فرأى ابن خاله يصارع عملاقا ضخم الجثة،

فصاح بصوته الجهورى ابن خالى، وفي سرعة البرق انطلق إلى هذا العملاق، وجذبه بيده التى لم تر القرية كلها حتى الآن ولا القرى المجاورة يدا في قوتها وعنفوانها، ثم أداره أمامه مسافة مناسبة ودفعه بيده وبقدمه القوية ركله ركلة أطارت العملاق في شارع القرية الواسع، علا الصياح، فجاء العماليق السبعة إخوة العملاق الذى أطارته ركلة الأستاذ رشدى حاملين نبابيتهم، وقد هجموا جميعا على الأستاذ رشدى، رفع الأستاذ رشدى الحمارة التى أشعلت الشكلة في شارع القرية الواسع إلى الهواء وقذفها بعنفوان غاضب على هؤلا القادمين فسقط البعض، وفر البعض الآخر، وهو يتتبعهم، وكلما اقترب من أحدهم ركله الركلة التى ركلها للعملاق، فيطير بخفة ورشاقة وعواء من أثر هذه الركلة التى لا ترحم.

ما زالت قريتى تذكر للأستاذ رشدى كيف شتت هؤلاء العماليق ذوى الهيبة الكبيرة في الخناقات بركلاته.

أبو المعاطى



قبل مدخل القرية على الطريق المؤدى إليها سقطت سيارة في المصرف الواسع المملوء بالمياه، مات أحد شباب القرية فيها تاركا زوجته الشابة وهى حامل في طفله الوحيد في حالة من الفقر الشديد.

كان منظر المكان الذى سقطت فيه السيارة مخيفا حقا في مساء شهر طوبة، حيث يهبط الظلام والضباب الكثيف على أشجار اللبلاب التى تملأ حافتى المصرف، وأشجار الصفصاف والجميز على الترعة التى يقطعها هذا المصرف الواسع.

كان الفلاحون يحذرون بعضهم بعدم السير بالقرب من هذه المنطقة خوفا من عفريتة أبو المعاطى.

فقد ساد اعتقاد جازم بينهم بأ ن عفريتة أبو المعاطى تخرج في المساء، خصوصا وقت السحر، وربما تسير على مياه المصرف، أو تجلس على حافته.

ترامت هذه الأنباء إلى الزوجة الشابة المترملة، والتى تتحمل قسوة الزمن بحكمة الكبار.

فكانت تخرج كل ليلة في آخر المساء وحيدة في البرد والظلام، ثم تأخذ موقعها على حافة المصرف في المكان الذى صرع فيه زوجها الشاب أبو

المعاطى، وتجلس حتى أذان الفجر، كى تشاهد عفريتته، وتخبره بما فعل الزمن فيها من بعده.

كان أهل القرية ينظرون إليها في أسف لحالتها، وهى عائدة كل يوم فجرا من المكان الذى مات فيه أبو المعطى.

وحينما يسألها أهل القرية: هل رأيت أبو المعاطى؟

تخبرهم، وهى ترتعش من الحزن والبرد بأنها لم تشاهد أبو المعاطى.

القتيل في صندوق السيارة



اشترى سيارة داتسون، نصف نقل، وكان يسوقها بنفسه، ويقضى بها مصالحه، خصوصا في التجارة، وفي يوم من الأيام كان هو وأمه، وزوج أمه الذى هو في الوقت نفسه عمه، وأخوه يركبون السيارة ذاهبين إلى قرية بعيدة عن قريتهم لهم فيها بعض الأقارب.

ولم تكن مهارته في قيادة السيارة واضحة، إذ كان كثير الحوادث بها، لا يكاد يمر شهر دون أن تكون له حادثة، ينجيه الله منها.

في هذا اليوم الغريب كان سائرا على طريق زراعى ذى مطبات كثيرة، وأثناء سيره بسرعة ضربت سيارته أحد أبناء القرية التى يمرون من أمامها، ارتفع هذا الشخص في الهواء ارتفاعا كبيرا، وكان الخوف قد تملك قائد السيارة من أهل هذه القرية لو علموا بما حدث، وقد رأى بعض أهل هذه القرية الحادث، فتنادوا للإمساك به، فسار بسرعة هائلة، وكان أخوه يركب في صندوق السيارة، فما راعه إلا الضحية، وهى تسقط من الهواء في صندوق السيارة بجانبه.

ظلت عملية المطاردة المخيفة، ولكن السيارة استطاعت أن تبعد مسافة مناسبة، فتنفس قائدها الصعداء قليلا، ولكنه سمع صوت أخيه من

صندوق السيارة يخبره بأن القتيل في صندوق السيارة.

أنزله بسرعة، ثم دخل إلى دوار عمدة القرية المجاورة الذى أجاره ومن معه من حشود القرية الأخرى الغاضبة.

أما الضحية فإنه لم يفقد حياته، وعاش بعد هذا الحادث سليما.

إبراهيم الأهبل



كان عملاقا فائق الطول، ضخم الجسد، ضخم القدمين، رهيب الملامح، في طيبة تجعل البعض يحزن لأجله، كان من قرية قريبة، وقد تعوّد على المجئ إلى قريتنا دائما، كان يسير حافي القدمين، ويلبس جلبابا بنيا متهالكا، لا يغيره أبدا.

وحينما يأتى لقريتنا يتصايح أطفال القرية: إبراهيم الأهبل.

ما هى إلا لحظات حتى يكون شارع القرية الواسع يضج بأطفالها، وصياحهم، ومرحهم الفائق. كان مرح الأطفال الفائق يغرى بعض رجال القرية ونسائها بالفرجة الممتعة.

كان إبراهيم الأهبل يدّعى أنه حارب إسرائيل، وله بطولات فاقت الحدود ضد هذا العدو.

كلما جاء سئل: كيف أمسكت الطائرة في الحرب يا إبراهيم؟

فإذا بهذا العملاق الذى لا شبيه له في الطول والضخامة يقفز في الهواء قفزة هائلة، رافعا ذراعه الأيمن، وقد ضمه في قبضة حديدية متشنجة، ومن شدة القفزة نشاهد قدمين هائلتين، وجزءا من ساقين ظاهرتين ترتفعان في الهواء، ثم تعودان ترتطمان بالأرض.

ثم يقول: هكذا.

عندها تغرق جماعات القرية الملتفة حوله في ضحك متصل.

ويستمر الوضع هكذا حتى يتصبب العرق من العملاق الهائل، وفي النهاية يعود إلى قريته تاركا القرية في حديث ممتع عمّا يفعله.

حينما عدت إلى قريتى بعد غياب سألت عنه، وعرفت أن إبراهيم لم يأت إلى قريتنا منذ سنوات بعيدة، فقد رحل عن عالمنا إلى العالم الآخر.

يرحمه الله.

الفرس



كان من عادته الذهاب إلى حقله مبكرا جدا، ويظل فيه طيلة يومه، وفي يوم من الأيام حينما كان وحده في القيلولة يحش البرسيم لجاموسته، أبصر فرسا بيضاء، وهى تجرى في الحقول الواسعة، ولم يكن قد شاهد مثل هذه الفرس من قبل، انتبه إليها فوجدها تقترب من حقله، وحينما اندفع ناحيتها أطلقت ساقيها للريح، وجعلت تجرى بين الحقول، ولم يكن في هذه الحقول الواسعة أحد غيره.

عاد إلى حش البرسيم مرة أخرى، وأثناء انهماكه في حش البرسيم وتخريط القش على ما حشه كى يضعه أمام ماشيته أبصر هذه الفرس البيضاء، وهى تجرى بين الحقول في رشاقة بالغة تسر الناظرين، وجدها تقترب من حقله مرة أخرى، فبدأ يتحفز للإمساك بها، ولكن دهاءه هداه إلى أن يبدو منهمكا في عمله، ولا يشعرها بانتباهه إليها، نظر إليها بطرف عينه، فوجدها فائقة في الجمال، وأحس بقلبه أن هذه الفرس ماهى إلا جنية من عالم السحر والخيال.

جهز في غفلة ـ حتى من نفسه ـ مسلته الحديدية التى يخيط بها الشليتة التى يضع فيها البرسيم، وما شابه ذلك. وفجأة أثناء اقتراب هذه الفرس البيضاء منه غرس المسلة في كفلها فثبتت الفرس، وأصبحت طيعة له.

عاد بها إلى بيته، وهى تحمل البرسيم، وركب هو فوق حمل البرسيم،

وكل من يراه من أهل القرية يتعجب من جمال الفرس التى يركبها.

وصل إلى البيت، وربطها في الزريبة، وأوصى زوجته بالعناية بها، وأخبرها بأن الله رزقه بهذه الفرس التى تسر الناظرين.

ظلت هذه الفرس البيضاء في بيت صاحبنا ما شاء لها الله أن تبقى، حيث كانوا يستعينون بها على قضاء حوائجهم الكثيرة، واكتسب صاحبنا مكانة كبيرة في قريته، وربما في القرى المجاورة باعتباره يملك أجمل فرس شاهدها أهل هذه المنطقة كلها.

كانت الفرس أثناء وجودها في زريبة صاحبنا، وسيرها حاملة الأثقال تنظر نظرات يبدو فيها الكثير من الأسى على ما آل إليه حالها.

وفي يوم من الأيام كان صاحبنا في الحقل، ومعه زوجته التى لا تدرى عن حقيقة هذه الفرس البيضاء شيئا، فأوصاها بالعناية بالفرس البيضاء، وذهب إلى الترعة كى يطمئن على وصول الماء، ليفتح السد كى ينطلق الماء إلى حقله.

أما زوجته فقد كانت تشعر شعورا غريبا بمدى الحزن الذى تجده في عيون هذه الفرس البيضاء.

قدمت الماء والبرسيم إلى الفرس، وخلعت السرج من على ظهر الفرس البيضاء، ولشد ما اندهشت لوجود هذه المسلة الحديدية في كفلها، وبكل عزيمتها قلعت هذه المسلة الحديدية من كفل الفرس، فما راعها إلا انفلات الفرس البيضاء من عقالها، وماهى إلا لمحة حتى كانت الفرس البيضاء نقطة بيضاء في الأفق الواسع.

اللقاء الأخير



رأيت فيما يرى النائم أنني واقف في ناصية الحارة مع رفاق لى، وفجأة أبصرت عمدة قريتنا الذى توفاه الله تعالى قادما من مقبرته، وقد علا الغبار وجهه وجلبابه، حينما رأيته انفلت من بين رفاقى، ذاهبا إليه، ومددت يدى اليمنى لمصافحته . فقد كنت أحبه حبا شديدا، وكان يأتى لزيارتى في بيتنا ليسمع الشعر منى . لكنه أشاح بوجهه، ثم دخل حارتنا، وقد أُلقى في نفسى أنه ذاهب لجدى.

استيقظت من نومى، وقد بدا يقين في نفسى بقرب رحيل جدى الذى أحبه كثيرا جدا.

كانت إجازة نصف العام بعد يوم، وقد قررت الذهاب إلى خطيبتى الفائقة الحسن في الإسكندرية قبل ذهابى إلى قريتى.

انطلقت مستقلا السوبرجيت من القاهرة إلى الإسكندرية، وحينما نزلت من السوبرجيت اشتريت صحيفة الأهرام مع بعض الكتب من بائع للجرائد في المحطة، ثم توجهت إلى خطيبتى، وحينما ارتحت قليلا من عناء السفر قلبت صحيفة الأهرام فعرفت أن الشاعر الكبير مُحمَّد الفيتورى له أمسية شعرية في هذه الليلة في معرض القاهرة الدولى للكتاب.

قررت مغادرة الإسكندرية والعودة مرة أخرى إلى القاهرة، عسانى أقابل هذا الشاعر الكبيرلأن شعره هو موضوع رسالتى للماجستير، ولم أتحدث إليه من قبل.

سلمت على خطيبتى الفائقة الحسن، ثم انطلقت إلى قاهرة المعز، وصلت معرض القاهرة الدولى للكتاب في موعد ندوة الشاعر الكبير، لكننى لم أقابله، فقد اعتذر عن الحضورإلى مصر.

كان البرد شديدا، فخرجت من أرض المعرض، ورأيت أن أتوجه إلى قريتى التى تبعد أكثر من مائة كيلو متر عن مدينة القاهرة.

اشتريت الكثير من الفاكهة، ودخلت بيتنا الريفي الواسع في منتصف الليل تقريبا، واستأذنت في الدخول لحجرة جدى، فرأيته نائما بمفرده على سريره في الغرفة، سلمت عليه، فرد السلام، قلت: هل تعرفنى:

قال: نعم، سى الباشا، كما كان يدعونى دائما.

أخرجت له الموز والبرتقال، فأكل كمية كبيرة على غير عادته.

سلمت عليه، وذهبت إلى أبى وأمى، وسلمت عليهما.

في الصباح ذهبنا إلى حجرة جدى لكننا وجدناه لا ينطق.

كان جدى في الثانية والثمانين من عمره، متين البنية، أحمر الوجه، ذا صوت جهورى، وابتسامة واضحة.، وكان دائم الحدب والعطف علىّ، يتخذ منى صديقا مقربا.

كم كنت مستمتعا بوجوده في هذه الحياة، لكن في هذا اليوم أحسست أن الحياة بدأت تتفلت من جدى الذى كان عاشقا لكل لحظة فيها، سعيدا بماله وأولاده، خصوصا أنا الذى كان يكن لى مودة خاصة.

جاء الطبيب، وبدا أن الرحيل لا مناص منه. بعد يومين غادرنا جدى إلى بعيد، لكن مازالت روحى تشعر به شعورا قويا، ولا يكاد يغيب عنها.

المربد

كنت دائم الزيارة للشاعر الكبير مُحَمَّد الفيتورى في مكتبه بالسفارة الليبية بالزمالك، كان الأمر جديدا عليّ حقا، أن أذهب إلى الزمالك، وأسير في شوارعها الواسعة ذات العبير الفائح، وأشجارها الباسقة، وطيورها المغردة، ومبانيها النظيفة، وناسها المستمتعين بالحياة، كان مبنى السفارة الليبية يتميز بالاتساع الفائق، والنظافة المفرحة، والحديقة الغناء.

كان الأمن يعرفنى، ويفتح لى باب السفارة فور وصولى لزيارة الشاعر الكبير، الذى كان شعره هو موضوع رسالتى للماجستير. كثيرا ما كنت أشاهد قامات ثقافية هامة في مكتبه.

وكان نجم هذه اللقاءات هو الشاعر مُحَمَّد الفيتورى نفسه، كان منطلقا في أحاديثه ذا وسامة أخاذة، على عكس ما كان يشيع عن نفسه.

كثيرا ما كنت أفتح أبواب الحديث لأعرف رأيه فيما أريد، فذكرت أمامه في إحدى المرات الشاعر اليمنى الكبير عبد الله البردونى، فما راعنى إلا انطلاقه اللافت في حكاية عنه.

فقال: دعيت للمربد، باعتبارى أشهر شاعر سودانى، وكان هناك أشهر الشعراء من أنحاء الوطن العربى، وكلهم قامات كبيرة جدا، فلجأت اللجنة المنظمة إلى اعتماد الحرف الأبجدى في التقديم، حتى لا يظن بها تفضيل شاعر على شاعر، فكلهم كبار،

وكان هذا يعنى أن نزار قبانى سيقول بعدى، فاسمى يبدأ بحرف الميم، واسمه يبدأ بحرف النون، وأنا أعرف أنه لا يحب أن يكون بعدى، لأننى أتكلم عن أفريقيا وكفاحها، والثورات العربية ونضالها، وهو يتكلم في الغالب عن المرأة، فكان لا يفضل أن يقول بعدى، وهنا ذكر نزار لمنظمى الحفل أنه متعجل من أمره، وأن موعد طائرته لا يسمح له بالتأخير، فقدموه أولا، وبعد أن قال شعره، لم يغادر القاعة، فعرفنا أنه يريد التخلص من موقف.

جاء الدور على حرف العين فقال مقدم الحفل: والآن مع الشاعر اليمنى عبد الله البردونى.

خرج رجل عيونه مثل عيون أوديب، يلبس بالطو خفير، وبلغة، وشعره أكرت، ويسحبه رجل يلبس بالطو خفير، وبلغة وشعره أكرت.

قال عبد الله البردونى قصيدة عمودية، وكان ينطق القاف بلغة أهل اليمن، وكان مما قاله في هذه القصيدة مخاطبا الشاعر أبا تمام:

هل جئت تسأل عن صنعاء يا أبتى   مليحة عاشقاها السل والجرب

بعد أن انتهى من إلقاء قصيدته ضجت القاعة كلها بالتصفيق الحاد، واستمر التصفيق عشر دقائق متواصلة، ثم قال مقدم الحفل: والآن مع الشاعر السودانى مُحَمَّد الفيتورى.

غضبت في نفسى غضبا شديدا جدا، فهذا ليس هو الترتيب الأبجدى الذى اعتمدوه، لماذا يقدموننى بعد هذا الرجل الذى أثار عاصفة حادة، وأشعل حريقا في القاعة، قلت في نفسى إنهم يريدون أن يحرقونى.

أنا في حياتى العادية، قد يظهر أنني غير مرتبط بالإيمان كثيرا، ولكن في المواقف الصعبة يظهر بشدة الارتباط بالإيمان، قمت من على الكرسى الذى أجلس عليه، وسرت في الطرقة، وأنا أقرأ فاتحة الكتاب في نفسى، كان سيرى متباطئا، وحينما صعدت إلى المنصة، ووقفت أمام الميكروفون في مواجهة جمهور القاعة الواسعة الذى يبلغ عشرة آلاف، ونظرت إليهم كنت قد وصلت في قراءة سورة الفاتحة إلى "آمين".

القاعة أصبحت بعد قصيدة البردونى حريقا هائلا، وحينما يكون هناك حريق هائل فأنت أمامك شيئان إما أن تلقى عليه سيولا كى تطفئه، وهذا ليس عندى، وإما أن تجعل بينك وبين هذا الحريق ستارا.

كان المناضل السودانى عبد الخالق محجوب ورفاق له الذين أعدمهم الرئيس السودانى جعفر نميرى حديث الوطن العربى كله في ذلك الوقت، قلت: قصيدتى مهداة إلى عبد الخالق محجوب ورفاقه، فضجت القاعة بالتصفيق الحاد، ونسوا البردونى، وما أشعله من حريق، وحينما وصلت إلى آخر أبياتها التى تقول:

قتلـــونى وأنكـــرنى قـــاتلى — وهـــو يلتـــف بـــردان في كفـــنى
و أنا مـــن ســـوى رجـــل — واقـــف خـــارج الـــزمن
كلمـــا زيفـــوا بطـــلا — قلـــت قلـــبى علـــى وطـــنى

ضجت القاعة بالتصفيق الحاد، واشتعلت مرة أخرى بحريق هائل مثل الحريق الذى أشعلته قصيدة عبد الله البردونى.

الذباب



كان في العشرين من عمره شاعرا مشهورا جدا حقق ديوانه الأول نجاحا مذهلا عند صدوره فقد كان صوت العصر الذى صدر فيه،كان أسمر اللون، قصيرا ذا صوت نحاسى يجذب إليه الجميع، لكنه كان من أسرة تعانى شظف العيش في أسوأ حالاته، أعجبت به شاعرة مشهورة جدا في ذلك الوقت كانت في السابعة والثلاثين من عمرها، تكبره بسبعة عشر عاما، فائقة الجمال ورغم ذلك لم تتزوج، من أسرة شديدة الغنى، ذات أصول تركية، كانت هذه الشاعرة بيضاء اللون، ذات شعر أصفر تبدو لمن يراها أميرة متوجة.

نشأت قصة حب ملتهبة بينهما، كانت هذه القصة حديث الأوساط الأدبية.

علمت أسرتها بذلك، أن ابنتهم الشاعرة فائقة الجمال تحب فتى أسمر اللون فقيرا، حاولت الأسرة أن تقف في وجه هذا الحب ولكن لم تفلح،فقررت أن تقف بعنف أكثر وسفّرت ابنتهم إلى بيروت كى تنسى.

حينما عادت من بيروت بعد شهرين كاملين اتصل بها شاعرنا الفتى، وحينما سمعت رنين الهاتف رفعت السماعة قائلة: آلو

حينما جاءها صوته عرفته ولكنها لم تجب، بل وأغلقت الخط.

شعر بكثير من المرارة والغضب، فألقى بسماعة التليفون بكل عزيمته.

ثم ذهب إلى زجاج النافذة القريبة، وبقبضته القوية وجه لكمة هائلة إلى زجاج النافذة فانكسر في حين سالت الدماء من يده بغزارة.

ظل حزينا كئيبا بسبب هذا الحب الضائع، وتغير لونه، وأصبح كل من يراه يلمس مدى الحزن والمعاناة التى عليها هذا الفتى الملئ بالحيوية.

رآه أحد سفراء بلاده الذين عرفوه بعد شهرته الفائقة بسبب ديوانه الأول، وكان قادما من ألمانيا، فشاهد ماهو فيه من حزن لاعج، فسأله: مابك؟

فقص عليه القصص، فقال له هذا السفير المخضرم: هل تظن أن هذه الأسرة منعت ابنتها عنك بسبب لونك الأسمر أو بسبب أسرتك البسيطة؟

قال نعم.

فقال السفير: لا لقد تركوك بسبب فقرك الواضح. حسّن من وضعك المادي وستجد الفتيات حولك كالذباب.

الغريب أن هذا الفتى وصل إلى أعلى المناصب، حتى أصبح وزيرا مفوضا وسفيرا لدولة عربية قدّره زعيمها فأعطاه الجنسية وعينه سفيرا لبلاده، وكانت البنات شقراوات وغير شقراوات يطاردنه أينما ذهب.

بركات



كان بركات هو الأخ الأصغر لأخوين وأخت، ماتت أمه بعد مولده بقليل، نشأ في القرية مع أبيه وإخوته يعانى شظف العيش ومرارة أيامه، ولكنه كان صابرا، يتحمل أقداره بشجاعة، كان بركات في شبابه أقرب إلى القصر والنحافة والسمرة واسع العينين، عريض الجبهة، لكنه رغم نحافته البادية يتمتع بقوة هائلة يعرفها عنه أهل القرية.

في يوم من الأيام غضب عمدة القرية ذو العائلة الكبيرة على أخيه الأوسط الذى كان يتمتع بحيوية هائلة وإقبال على الحياة لا شبيه له، ولطمه على خده.

لم يرد الأخ الأوسط على العمدة بشئ، ولم يكن بركات حاضرا، كان أخوه الأوسط متسامحا لم يأبه بهذه اللطمة، ولم يقف عندها، رغم أن العمدة من سنه، لكن بركات الذى يصغرهما بتسعة أعوام حينما عرف اشتعل السخط والغضب في نفسه، وقرر الانتقام من العمدة الذى لم يكن أحد يجرؤ على معارضته في ذلك الوقت.

كان بركات يسير على السكة بين الحقول فرأى حقل العمدة الواسع وقد نضجت الغلة فيه وحان حصادها.

رجع إلى بيته وأحضر علبة الكبريت، وأمسك بقطة، وربط فيها قطعة قماش كبيرة، وصب على هذه القطعة بعض الجاز.

رجع إلى حقل العمدة الواسع وقفز من فوق القيد الذى أمامه، وأشعل النار في القماشة وأطلق القطة في الحقل الواسع فاشتعلت النار في الغلة التى آن حصادها، ثم مضى بركات بعيدا عن الحقل، وارتفع الدخان، فانطلق الفلاحون مسرعين، وهم يتصايحون لإطفاء النار التى اشتعلت في حقل العمدة الواسع. كما خرجت نساء القرية يحملن الحلل المملوءة بالماء لإلقائها على النار المشتعلة، وكثر صياح حيوانات القرية ورجالها ونساؤها، وجاء العمدة مسرعا في لفيف من عائلته، ليشاهد النار، وهى تاتى على زرعته التى ينتظرها.

عرف العمدة وعائلته وأهل القرية كلها أن بركات هو من أشعل النار في الحقل فازداد احترام العمدة وأهل القرية لبركات وإخوته، ولم يتعرض أحد لهم بشئ بعد ذلك.

المشنة



كانت الزوجة الطيبة التى تكبر زوجها بتسعة أعوام ليست على درجة لافتة من الوضاءة والصباحة، كانت في ذلك الوقت في الرابعة والسبعين من عمرها، قصيرة واضحة القصر، إحدى عينيها ليست سليمة تماما، لكنها كانت مليئة بالحيوية وحب الحياة، وحب زوجها الذى يقع في خاطرها أنه لا يبادلها حبا بحب. فقد تزوجها بعد وفاة زوجها الأول ليتخلص من فقره المدقع وعوزه الشديد.

وعلى الرغم من أنها ظلت مع زوجها الأول فترة طويلة فإنها لم تنجب منه، لكن الله منّ عليها بنعمة الولد من زوجها الثانى، فأنجبت خمسة أولاد، مات أربعة منهم أطفالا، وبنتين.

الزوج كان على درجة عالية من الوسامة والرجولة، في إقبال فذ على الحياة، وابتسامة شيقة لا تكاد تفارقه، ونظافة في ثوبه ليست على عادة الفلاحين الذين لا يعتنى أكثرهم بلبسه وهندامه.

كانت قصة العشق المتبادل لجارته في الحقل معروفة للجميع وللزوجة طبعا.

كانت الجارة ذات طول واضح، غير مترهلة الجسد، وذات إقبال فذ على الحياة أيضا، وكان زوجها يعرف قصة عشقها لهذا الجار، كما أن أولاد العاشقين يعرفون.

وتسير الحياة بإيقاعها الجميل في القرية نغما صافيا يهبط على قلب الجميع.

لكن الزوجة كانت تشتعل نيرانا من هذا الوضع، وزاد اشتعالها بعد وفاة زوج هذه الجارة المحبة جدا لجارها و الراغبة فيه.

كم كان يسوء الزوجة هذين الحقلين المتجاورين، لكن ما باليد حيلة، ماذا تفعل، وزوجها لم تظهر منه خطوة حاسمة للا رتباط بهذه الجارة المحبة.

أثناء عمل الزوج الحريص على الإنتاج وتحسين وضع الأسرة، والانتقال بها إلى مرحلة الغنى الواضح كانت الزوجة تذهب إليه وقت الضحى حاملة المشنة المملوءة بالخبز الناضج والجبن القريش والماء القراح.

ذهبت الزوجة في إحدى المرات إلى الحقل الذى كبر نباته، وأصبح يسر الناظرين وهى تحمل هذه المشنة إلى زوجها المكافح في حقله، ولم تشاهده في الحقل، ظلت تبحث عنه، حتى وجدته في منتصف الحقل، هو وجارته العاشقة، وقد حجبهما نبات الحقل المرتفع، فألقت على رأسه المشنة،بما فيها من طعام، وعادت وهى متألمة جدا من هذا السلوك.

الشيخ المحمودى



كان شيخا جليلا، حسن السمت، متناسق البنية، ذا طول معقول، ووسامة ظاهرة، ولحية حسنة التنسيق، وعباءة غالية الثمن، وعقال سعودى رائع.

كان من قرية بعيدة عن قريتنا تعوّد أن يزور قريتنا مرة كل عام، فيخطب الجمعة، فتكون خطبته لافتة، حيث يمتلئ المسجد الواسع بالمصلين، وتنطلق رائحة البخور في أجواء المسجد، ويمسك هو بسماعة الميكروفون في ثقة هائلة، وصوت مسموع، وأداء على المنبرلا شبيه له، وقد تعود أن ينهى الخطبة بذكر شجرة نسبه الذى يمتد إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

فيخرج أهل القرية من المسجد بعد صلاته، وقد امتلأت نفوسهم بحلاوة الإيمان.وينزل ضيفا على مضيفه الذى يشعر بالفخر الشديد أمام أهل القرية حين يكون الشيخ المحمودى ضيفه.

وفي المساء تقام حلقة الذكر التى يتوسطها الشيخ المحمودى، ويذهب إليها رجال القرية، فينشد الشيخ المحمودى بصوته الرائع أناشيد في حب رسول الله، وحب آل البيت الكرام.

تستمر حلقة الذكر جاذبة لرجال القرية ونسائها وأطفالها وشيوخها في فرح حقيقى بالحياة، وكان يطيب لبعض رجال القرية لفت الأنظار إليه بأن

ينهمك في الذكر والحركات الراقصة، حتى يشعر الجميع بأنه أصبح في ملكوت آخر، فيقولون عنه "انجذب"، ثم تأتى فترة الراحة، فتدور أكواب القرفة الساخنة على الجميع، وكان كل واحد من أهل القرية يشعر بالسعادة البالغة حين يحصل على كوب من القرفة التى لا يشربها إلا في هذه الليلة المنذورة لذكر الله.

وكان يطيب للشيخ المحمودى أن يحدث أهل القرية عن كراماته، وأهل القرية يأخذون عنه ذلك في إكبار واضح وإجلال عظيم.

وقد استمعت إلى رصيف من رصفائى يقص علينا ونحن أطفال: أن الشيخ المحمودى كان عائدا من قريتنا إلى قريته، ويسير على الطريق الزراعى غير المرصوف في ذلك الزمن البعيد، ثم حُصر، فانتحى جانبا في حقل من الحقول، وأزال حصره،ولكن سقطت منه علبة السجائر وفيها مائة جنيه.

وحينما عاد إلى قريته البعيدة اكتشف ضياع علبة السجائر وفيها المائة جنيه، وبعد عام كامل عاد إلى قريتنا، ومارس طقوسه المبهجة لأهل القرية، والتى تغير نمط حياتهم جميعا في هذا اليوم، ثم غادر القرية سائرا في الطريق نفسه الذى تعود السير فيه، فحُصرفي المكان نفسه الذى حُصر فيه في العام الماضى، وذهب ليزيل حصره في البقعة نفسها التى أزال حصره فيها منذ عام مضى، وبعد أن أزال حصره، وجد علبة السجائر كما هى، فعرفها، وحينما فتحها وجد المائة جنيه لم تُمس.

لكن بعد أن عرف أهل القرية الطريق إلى المدينة، ودخل التليفزيون في كل بيت لم يعد هناك الاهتمام اللائق بالشيخ المحمودى. خصوصا بعد أن أصبح مضيفه الرئيسى رجلا معروفا بشرب الحشيش في بيته هو وجماعة من أهل القرية.

الشوقيات



كنت طالبا في الصف الأول الثانوى، كانت المدرسة الثانوية في قرية قريبة من قريتنا، في هذه الآونة كنت بالنسبة لهذه القرية المليئة بالمتفوقين في العلوم المختلفة شاعرا لايشق له غبار، حين دخلت هذه المدرسة كانت هناك جماعة من شعرائها وبعض مدرسيها يقولون الشعر في الإذاعة المدرسية صباحا، كان قول الشعر منهم في الصباح شيئا لافتا لطلاب المدرسة وأهل القرية.

لكننى حين قلت قصيدة لى في الإذاعة المدرسية أصبحت الشاعر الحق في هذه المدرسة، ولم يصعد طالب بعد ذلك إلى منصة الإذاعة المدرسية كى يقول الشعر، وأصبحت الإذاعة المدرسية كل يوم سبت مخصصة لى أقول الشعر بحماس شديد، جعلنى حديث هذه القرية والقرى المجاورة.

كانت المكتبة المدرسية بها كتب لذيذة، كنت أستعير منها ما يسد رمقى، وكان هناك كتاب استعرته لإيليا الحاوى عن أمير الشعراء أحمد شوقى، كان الكتاب في ذلك الوقت يفتننى بما فيه من قصائد فذة لأمير الشعراء.

أعدت الكتاب للمكتبة المدرسية بعد قراءته، لكننى أحسست في نفسى شوقا كبيرا لاستعارته مرة أخرى.

حين ذهبت لاستعارته مرة أخرى لم أجده في المكتبة، وأمينة المكتبة لا تعرف أين ذهب الكتاب.

ذهبت إلى أهلى وأخبرتهم أننى أريد شراء كتاب عن أحمد شوقى، فلم يأخذوا الأمر بجدية.

كان بيتنا الريفي الواسع ذو الحجرات المتعددة لايوجد به كتاب واحد غير كتب المدرسة فلم يسبق لأحد من عائلتى أن تعلم.

فكان غريبا عليهم أن أطلب كتابا لأمير الشعراء أحمد شوقى الذى لم يسمعوا به من قبل رغم شهرته العريضة.

في اليوم التالى طلبت الكتاب من عائلتى، ولكن كأنهم لم يسمعوا. ذهبت إلى جدى، وطلبت منه أن يأمر أبى حتى ياتى لى بالكتاب، فأنا لا أستطيع أن أظل فترة أخرى بغير قراءته.

عرف جدى الذى كان يحبنى جدا، أكثر من أى فرد في الأسرة، مدى رغبتى في هذا الكتاب، فقرر أن يذهب أبى لشراء الكتاب لى. في حين كان أبى لا يريد شراءه لى.

لكن جدى رحمه الله طلب منه الذهاب إلى المركز والسؤال عن الكتاب، وإحضاره.

لم يجد أبى بدا من الذهاب إلى المركز والسؤال عن كتاب لأحمد شوقى، وكلما ذهب إلى مكتبة من مكتبات المركز لا يجده، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، وإنما يسخر صاحب المكتبة من هذا الطلب، ذاكرا

لأبى المصير الفاشل الذى ينتظرنى في التعليم، لأن ابنه هذا ينحرف عن مسار التعليم إلى الغناء.

يرجع أبى خالى الوفاض، وقد اشتد غيظه من هذا الانحراف، ويذكر ذلك لى ولجدى وأمى وجدتى.

ولكنه يفاجأ بتصميمى الشديد على شراء هذا الكتاب، فيطلب جدى منه الذهاب صباحا إلى الزقازيق بدلا من المركز، ويسأل هناك على الكتاب، ويشتريه.

ذهب أبى إلى الزقازيق وحصل على نسخة مجلدة تجليدا حسنا للشوقيات في مجلدين، وفي كل مجلد جزءان، ثم اشترى من الزقازيق سمكا كبيرا مشويا ذا طزاجة أدخلت السرور الغامر على أسرتنا، وفاكهة لذيذة.

عاد أبى في المساء، بعد صلاة المغرب، وكنت في انتظاره بشوق كبير إلى هذا الكتاب ذى القصائد الفاتنة.

رأيته قادما في الحارة طويلا بائن الطويل، أبيض الوجه مشربا بحمرة، وقد تعمم بشال أبيض ناصع البياض، ويلبس جلبابا أبيض غالى الثمن، وعلى محياه طيبة ظاهرة، وحب عارم للحياة.

أعطانى أبى الكتاب، ولم يكن هو كتاب إيليا الحاوى عن أمير الشعراء، وإنما الشوقيات نفسها.

ظل ديوان الشوقيات زادا شعريا عميقا لى منذ هذه الليلة، وكان أول كتاب غير الكتب المدرسية يدخل بيتنا.

الخضة



كانت جميلة متزوجة من رجل مشهور بالطيبة، ولين الجانب، كان طويلا جسيما، أحمر الوجه، ذا صوت مبحوح، دائما ما يسير في شارع القرية الواسع من بيته إلى المسجد وهو واضع يديه خلف ظهره. ظلت معه أحد عشر عاما، لكنها لم تنجب.

في صباح يوم من الأيام سمعت القرية كلها وهى خارجة عن بكرة أبيها بنسائها ورجالها وأطفالها وشيوخها وبعض حيواناتها للبحث عن حُسنة المتزوجة من أحد شباب القرية والتى لم تعد منذ يوم كامل إلى بيتها.

كانت حُسنة فتاة فائقة الجمال طويلة الجسم ذات ملامح فيها نبل واضح ولمحة من الحزن الآسر، متزوجة منذ عام من أحد شباب القرية الطيبين، وتعيش معه في بيت عائلته الواسع، كانت أمه شديدة وسليطة اللسان، جعلت همها في حياتها التنغيص على حُسنة وتوجيه أعنف اللوم إليها على كل صغيرة وكبيرة بذنب أو بغير ذنب، لكم كانت حُسنة ذات الجمال الفائق والنبل البين تستاء من حماتها التى لا ترحم، والتى جعلت من حياة حُسنة عبئا ثقيلا على صدرها الوديع.

أما الزوج فهو في واد آخر عن أفعال الحريم العادية في قريتنا وأكواخ قريتنا، يجعل همه المقيم كيفية توفير لقمة العيش شديدة الصعوبة لأسرته.

أخبرت حُسنة حماتها التى لاترحم بأنها ذاهبة للإتيان بالملوخية من

الحقول التى تقع في مارس أبو صوى كما يطلق عليه أهل القرية.

كان مارس أبو صوى يقع في جنوب القرية الهادئة وهو مجموعة من الحقول الكثيرة التى تتوزع على الكثير من عائلات القرية الوادعة.

سارت حُسنة بجمالها النبيل وقد بدا وجهها تحت أشعة الشمس في الصباح شمسا قروية فاتنة. لكن في إطلالة حزن تعرفها القلوب المنكسرة في قريتنا.

كانت الحقول الواسعة تحمل رائحة نبات القطن وما فيه من ملوخية وعنب ديب وحشيش وأشجار الصفصاف الحزين على جانبى الترعة الممتدة.

في حين كان طائر أبو قردان بلونه الأبيض الناصع يهبط الحقول في جماعات متآلفة.

نزلت حُسنة إلى الحقول الواسعة ولم يكن في هذه الحقول الواسعة إلا ثلاثة رجال فقط.

كان اثنان منهم مع بعضهما، وواحد آخر في حقله، ممسك بمغزله الذى لا يفارقه أبدا. لاحظ هذا الرجل المنفرد في حقله بمغزله أنه كلما وضع الخيط في المغزل انقطع منه، فتعجب كثيرا لهذه الظاهرة الغريبة عليه، وقال في نفسه " خير.. اللهم اجعله خيرا ".

في حين كان الرجلان يعملان في حقلهما، وينظران إلى حُسنة كلما انتهيا من خف القطن.

ملأت حُسنة حجر جلبابها بالملوخية، وفي كفها اليمنى أعواد الملوخية وما زال عليها قطرات من ندى الصباح.

وكانت الساقية التى تروى حقول هذا المارس الكبير مليئة بالمياه، لاحظ الرجلان حُسنة وهى تقترب من الساقية وتدور حولها مرة من بعد مرة في جمال أخاذ حزين.

وفجأة غابت حُسنة عن ناظريهما، ولم يعودا يريانها، وقع في وهم الرجلين بعد تكرار النظر أن حُسنة ألقت بنفسها في الساقية المليئة بالمياه.

غادرا الحقل خوفا من أن تجر رجلهما في شئ لا علاقة لهما به. حين غابت حُسنة ولم تعد حتى المساء بدأ الزوج يقلق، لكن حينما انطلق طائر المساء ممعنا في انطلاقه فوق سماء القرية المطمئنة كان القلق ينطلق بنفس سرعته، ويدخل من بيت لبيت على مصير حُسنة التى لم تعد.

في الصباح كان خبر اختفاء حُسنة يملأ أكواخ القرية كلها. سأل الناس حماتها " ماذا قالت لك حُسنة وهى خارجة البارحة؟ "

أجابت: " قالت إنها ذاهبة لإحضار الملوخية من حقول أبو صوى".

انطلقت القرية كلها إلى هذه الحقول البعيدة في جنوب القرية، حتى وصلت إلى الساقية المليئة بالمياه.

نظر أحد الفلاحين المهرة إلى المياه وقال ضعوا السلم في الساقية، واربطونى بالحبال المتينة، وسأنزل إلى الماء وأرى.

فعلوا به ما أراد وصاح في المتجمهرين حول الساقية المخيفة إنها هنا. فألقوا حبلا آخر له كى يربط حُسنة فيه ويشدها أهل القرية.

حينما ربط حُسنة في الحبل شد أهل القرية الحبل فخرجت فتاة في شرخ الشباب وقد ابتل شعرها الفاحم بمياه الساقية، وبدا الموت النبيل على ملامح وجهها، خرجت وفي حجرها الملوخية ويدها اليسرى ممسكة بطرف حجرها، ويدها اليمنى قابضة على أعواد الملوخية الخضراء.

أما الفلاح الماهر فقد نسيه أهل القرية في الساقية، لكنه جعل يضرب الماء بيديه في تشنج عميق حتى انتبه إليه بعض الذين أخذهم هول الموقف فشدوه من الساقية المرعبة.

أما الزوجة الجميلة التى مر عليها أحد عشر عاما ولم تنجب من زوجها الطيب فقد أصيبت بخضة كبيرة حينما رأت حُسنة فتاة الساقية الحزينة وهى خارجة في الحبل من أعماق الساقية المخيفة.

بعد تسعة أشهر أنجبت هذه الزوجة طفلة بديعة أسمتها حُسنة. وكان أهل القرية يعتقدون أن إنجاب هذه الزوجة يعود الفضل فيه للخضة من حُسنة فتاة الساقية الحزينة.

الشيخ حسن



كان الشيخ حسن مدرسا في المرحلة الابتدائية، يدرس للصف الأول الابتدائى، وكان محبوبا جدا من أهل القرية جميعا، اشتهر بعصاه المتينة الصغيرة من الخيزران يضعها في حقيبته السمراء، وحينما يخطئ أحد التلاميذ يخرجها ثم يضعها على أذنه هامسا لها في صوت يسمعه التلاميذ باسمها الذى يطلقه عليها

" الحاجة زبيدة "كم ضربة ستضربينها لهذا التلميذ المخطئ ؟

ثم يقول في صوت مسموع ثلاث ضربات، ويبدأ في ضرب التلميذ ثلاث ضربات موجعة، ورغم ذلك كان محبوبا من التلاميذ وكان من حسن حظنا في هذه المرحلة وجوده فيها فقد كان أكبر من معظم آباء التلاميذ هادئ الطباع ذا ملامح تنم عن طيبة واضحة وبياض في الوجه والثوب، ولم يعرف عنه أبدا أية مشكلة أثارها مع أحد أوأى موقف مما يسوء.

كان في بدلته النظيفة، وطاقيته من القماش الأبيض على رأسه مريحا للقلب والعين ، وكان حريصا على تعليم التلاميذ الصلاة، حيث يصعد التلميذ الصغير على تختة في أول الصفوف، ويبدأ في صلاته وكل التلاميذ يرونه مع الشيخ حسن، ويعرفون إصابته من خطئه

لم يكن الشيخ حسن من قريتنا أصلا كان من قرية بعيدة ولكنه تزوج وأنجب في قريتنا، وكان يتناوب الخطابة هو وأخو زوجته، كانت خطبته في

المسجد ممتعة حقا، في صوته الهادئ وجلبابه الأبيض النظيف، وطاقيته البيضاء النظيفة وحسن ملامحه.

كان الشيخ حسن لا يمتلك أرضا، يعيش من مرتبه هو وأسرته. بدأت أمارات كبر السن تظهر فجأة على الشيخ حسن، وبلا مرض ملموس مات الشيخ حسن وهو في الخمسينيات من عمره الطاهر.كان أهل القرية يسيرون في جنازته، وهناك أربعة رجال أشداء يحملون نعشه ويسيرون به في شارع القرية الواسع، وقد خرجت القرية عن بكرة أبيها لوداع الشيخ حسن، وبدأت أسطح المنازل الريفية تمتلئ بالناظرين إلى موكبه، وقد بدا سرب من الحمام الناصع البياض يحلق في أجواء القرية الصغيرة، وفجأة تحول الموكب الرزين الحزين إلى زغاريد تملأ أجواء القرية، فقد طار نعش الشيخ حسن، وبدأ الرجال الأشداء يتعلقون بالنعش الطائر، وكثير من رجال الموكب تعلقوا بالرجال الذين يحملون النعش، وهم يهللون ويكبرون، وارتفعت الزغاريد من نساء القرية الممتلئات بالشوق والحب، ومر ملاك سماوى من فوق أعناق الرجال في شارع القرية الواسع، حتى استلم النعش الطائر فسكن، وصوت رجال القرية يخرج من الأعماق ناطقا بذكر الله، ومر النعش ذو الموكب الفذ على بيت من بيوت القرية كانت صاحبته من قرية الشيخ حسن البعيدة، ووقفت سيدته أمام باب بيتها لتشاهد موكب الشيخ حسن، كان بيتا ريفيا ذا صالتين، وزير طيب الماء في الصالة الثانية، وحينما جاء النعش أمام باب المنزل وقف تماما، واجتهد الرجال الأشداء في تحريكه، والسير به ولم يفلحوا، فعلا صياح أهل القرية جميعا بالتهليل والتكبير، وارتفعت الزغاريد مرة ثانية تشق عنان السماء، وألقى بعض

الريفيين الكراملة على النعش، ولكن النعش لم يتحرك، وبدا الرجال الأشداء في حالة عجز تام عن تحريك النعش قيد أنملة، حتى جاءت سيدة المنزل الريفي، وشقت طريقها وسط الرجال، ولمست النعش بيدها، وقالت: "مع السلامة يا شيخ حسن " فانطلق النعش مسرعا إلى مقابر القرية، وتم دفن الشيخ حسن في المقبرة التى أعدت له.

لكم كان ندم أهل القرية كبيرا لأنهم لم يبنوا مقاما للشيخ حسن الذى أظهر كرامات فائقة يوم موته.

الزواج



سيدة فائقة الجمال والطيبة، ذات شعر أصفر وعيون خضراء صافية، ومركز علمى مرموق، متزوجة من سيد غنى جدا، يعيشان عيشة حسنة تقوم على الود والتراحم، مر على زواجهما اثنا عشر عاما، ولم يرزقهما الله بالولد، وقد ذهبا إلى الطبيب الذى أخبرهما أنهما سليمان تماما، ولا يوجد مانع طبى من إنجابهما، ولكن هذه إرادة الله سبحانه وتعالى.

كثيرا ما كانت تقول له: تزوج، من أجل إنجاب ولد يرث هذه الثروة الطائلة، واعلم أنى لن أفارقك، سأعيش معك، أما هو فكان يرفض أمامها تماما هذه الفكرة، حرصا على مشاعرها، ووفاء لما بينهما من حب.

لكن الحقيقة أنه تزوج بغير علم منها من قروية من بلدته، وأنجب منها بنتا، على عكس ما كان يرغب من إنجاب ولد يرث ثروته الطائلة.

حينما علمت عن طريق المصادفة بزواجه، عاتبته، وأخذت على خاطرها، فهى التى كانت تحثه على الزواج بأخرى من أجل إنجاب ولد يرث ثروته الطائلة، لكنه تلكك لها وطلقها، لم يكن لديها بيت تذهب إليه، وقد طلبت منه ألا يطلقها، فهى راضية بأن يتزوج بأخرى، وتظل هى على ذمته، ولكنه أبى، لكم كان فظا قاسيا في موقفه هذا مع شريكة حياته على مدار اثنى عشر عاما.

كانت لها قريبة متزوجة من سفير يقيم دائما بالخارج، ولديه فيللا، عرضت عليها قريبتها تلك أن تقيم في هذه الفيللا، وافقت.

تقدم لها عن طريق قريبتها تلك وزوجها أستاذ جامعى له ثروة طائلة توفيت زوجته وتركت له ولدين كبيرين، وهو يريد واحدة لا تنجب.

تم الزواج وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن تنجب من هذا الزوج ولدا جميلا عيونه خضراء وشعره أصفر، وقد ورثت عنه هى وابنها ثروة لا يستهان بها، في حين لم ينجب زوجها الأول الذى طلقها من أجل ولد يرث ثروته، غير بنت كان يتمنى أن تكون ولدا.

الفضيحة



فتاة غضة بضة، متفوقة في دراستها، من أسرة بسيطة، وهى حديث القرية في الصباحة والجمال، وقعت في حب فتى يبادلها حبا بحب، كم كان يتمنى الكثيرون من الفتيان أن يظفروا بحبها، لكن هذا الفتى استحوذ على قلبها تماما، لم يكن من أسرة غنية، ولم يظهر تفوقا واضحا في دراسته، عاشا قصة حب شديدة الالتهاب، ولم يقف أمام حبهما شئ، وكان فتاها منذ عرفها مقبلا على الحياة نشطا، لا تفارق وجهه ابتسامة الظافرين العذبة، وقد توّج هذا الحب بالزواج، والأولاد، حصل لها زوجها عن طريق معارفه على وظيفة حسنة.

كان لها في هذا العمل زميل من قرية بعيدة، كان هذا الزميل فتى مليئا بالحيوية، والنشاط، وكان نصّابا كبيرا، لكنه وقع في النهاية تحت طائلة القضاء، وبدأت الشرطة تطارده، ولكنه كان دائم الهروب منها، ولم تستطع أن تعثرعليه، فقد كان يتوقع مجيئها كعادتها دائما في المساء، فيتخذ بيتا آخر لمبيته، وكلما جاءت دورية الشرطة للإمساك به لا يعثرون عليه.

في شقته المنفردة، في صباح يوم من الأيام على غير التوقع، دخل ضابط الشرطة عليه، مع بعض الخفراء، وأمسكوا به، لكنهم وجدوا هذه الفتاة التى كانت مطمح الفتيان للزواج منها في الشقة معه يتبادلان الغرام اللاهب.

انتشر الخبر بسرعة ولم يعرف زوجها طعم الابتسامة مرة ثانية في حياته.

الفهرس